# الولاية والولي
# في الدين الإسلامي

للشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني
الشاذلي الدرقاوي

# 1- المقدمة

بسم الله المتنزل من عماء هويته في مراتبه الحقية الإطلاقية التنزيهية والمتجلي في مظاهر كلماته التقييدية التشبيهية، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا انكشاف والباطن بلا خفاء، محا الأغيار بأحديته بمقتضى الحديث الصحيح: "كان الله ولم يكن شيء غيره" وقوله تعالى: (كل من عليها فان) وقوله صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وأثبت ما سواه بواحديته بمقتضى قوله تعالى :{فأينما تولوا فثم وجه الله} وقوله تعالى: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} وقوله تعالى: {إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا}.

والحمد لله متولي أمر الوجود بما فيه من تبديل وتغيير وتحويل ونقص وكمال وإيجاد وإعدام وتقديم وتأخير، وحركة وسكون وظهور وبطون بمقتضى قوله تعالى: {فالله هو الولي} وقوله تعالى: {كل يوم هو في شأن} وقوله تعالى: {سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه}.

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة من الكنزية المخفية الذاتية الأزلية إلى أبد الآخرية الصفاتية الأسمائية في عوالم الملك والملكوت الأنفسية والآفاقية، والقدوة الحسنة للأنموذج الإنساني المخلوق على الصورة الإلاهية الرحمانية، في أرض ناسوت جسمه ونفسه، وملكوت لاهوت قلبه وعقله، وجبروت سر روحه وحقيقته بما بعث له به من الدين الكامل الإسلام والإيمان والإحسان إظهاراً للحقائق والتعينات العلمية

الأقدسية على وفق الاستعدادات والقوابل الإمكانية القدرية الحكمية القدسية.

وبعد، فقد اختص الله تعالى الإنسان بالولاية التي هي القرب منه تعالى فخلقه على صورته الكمالية بيدي الجلال والجمال، واستخلفه في الأرض وسخر له السماوات والأرض جميعاً منه، فكل إنسان ولي لله تعالى ولايةً عامة لذلك يمده الله بنعمة الإمداد بعدما أمده بنعمة الإيجاد. ولهذه الولاية العامة الخاصة ببني آدم ولاية خاصة بمن أخرج منهم الكمالات الإلهية المنطوية فيه بالقوة بمقتضى قوله تعالى: {ونفخت فيه من روحي} وتحقق بها وصارت موجودة فيه بالفعل على وفق الناموس الإلهي الذي شرعه الله تعالى لعباده المؤمنين على ألسنة رسله ويسمى حينئذ ولياً لله ولاية خاصة ونقصد بها ولاية مقام الإحسان، مقام "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" المشار إليها بقول الله تعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب} [سورة آل عمران آية 78] وقوله تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه" وبقوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة" [رواه البخاري برقم 2585] ، وولاية الإحسان هذه أعلى من ولاية مقام الإيمان المشار إليها بقوله تعالى: {ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون}، وولاية مقام الإيمان هذه يدخل بها ولاية مقام الإسلام العامة الشاملة لأفراد المسلمين بمقتضى الإقرار بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والعمل بهما.

**وعن هذه الولاية الخاصة سيكون موضوعنا الذي سنتحدث فيه عن النقاط التالية:**

**أولاً: تعريف الولاية والولي.**

**أ. تعريف علماء الشريعة.**

**ب. تعريف علماء الطريقة.**

**ج. تعريف علماء الحقيقة.**

**ثانياً: ثبوت الولاية بالكتاب والسنة.**

**ثالثاً: إثبات كرامات الأولياء بالكتاب والسنة.**

**رابعاً: الفرق بين المعجزة والكرامة والاستدراج.**

**خامساً: أنواع الكرامات وخوارق العادات وأجلُّها.**

**سادساً: طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم.**

**أ. الأولياء الذين يحصرهم عدد.**

**ب. الأولياء الذين لم يحصرهم عدد.**

**سابعاً: الفرق بين النبوة والولاية.**

**أ. في أن النبوة والرسالة مراتب من ولاية الرسول ولذلك فإن الولاية الكاملة لا تكون إلا لنبي أو رسول وأن من ظهرت فيه النبوة والرسالة والولاية على الكمال هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.**

**ب. في كون النبوة والولاية اعتبارين للحقيقة المحمدية وتعريفهما باعتبار هذه الحقيقة.**

**ج. في تعريف الولاية الذاتية المحمدية.**

**ثامنـاً: مراحـل الولايـة المحمديـة الخاصـة بـالولي الكامـل المسمى بالإنسان الكامل.**

**تاسعاً: الخلاصة.**

# 2- تعريف الولاية والولي

**أ-مقدمة:**

قبل أن نبدأ في تعريف الولاية من حيث مقامات الدين الإسلامي الكامل، الإسلام والإيمان والإحسان، نذكر سبب اختصاص النوع الإنساني بعمومه والإنسان الكامل -وهو من تحقق بكمال الولاية الخاصة المذكورة فيما سبق- خصوصاً بالولاية الإلهية.

قال تعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا} [الأحزَاب: الآية 72]، قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان مفسراً معنى هذه الأمانة:" وليست الأمانة إلاَّ الحقّ سبحانه وتعالى بذاته وأسمائه وصفاته، فما في الوجود بأسره من صحت له الجملة إلا الإنسان الكامل". فيفهم من الآية أن الإنسان عموماً والإنسان الكامل خصوصاً هو المظهر الوجودي الوحيد من مظاهر الذات الإلهية التي لا تتناهى الذي قبل باستعداده ونشأته ومرتبته الأمانة الإلهية التي هي ظهور الحق بكماله في مخلوقاته والتي هي مقصد الحق من خلقه للخلق كما جاء في الحديث القدسي: "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني"، فمرتبة الإنسان عموماً هي المرتبة الجامعة لكل المراتب الوجودية الملكية الفرقانية والملكوتية القرآنية والجبروتية الذاتية فلذلك قبلت مرتبته ظهور الحق بكمال ذاته من حيث مجموع أسمائه وصفاته وأفعاله فيه. قال الشيخ صائن الدين التركة في شرحه على فصوص الحكم: "فإن الكمال بحسب

**الجمعية الأسمائية، فكل ما هو أجمع آثاراً وأحكاماً للأسماء فهو أقرب إلى الذات وأكمل، وبيِّنٌ أن الجمعية التي في الإنسان ليست لغيره من الأنواع، وكذلك شخص الخاتم (أي الإنسان الكامل) منه، فإن نسبته إلى إلى غيره من الأشخاص كنسبة نوعه إلى الأنواع... فهو لجمعيته الكمالية أكمل الموجودات وأقربها نسبة إلى الذات"** (الجزء الثاني، ص 933).

**وهذا هو المعنى المقصود من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورته". قال الشيخ أبو الفيض الكتاني شارحاً معنى هذا الحديث قي كتاب "الديوانة": "فكما أن الذات الأقدس ذات محسوسة لا تدرك منفردة بالأضداد كذلك ظاهرها الذي هو لون هويتها وماهيتها، ويحتمل ذلك قوله عليه السلام: "خلق الله آدم على صورة الرحمن"... والمراد بصورة الرحمن ما هو عليه من التفريد والتجريد والجمع الفردي والضدي الجمعي الفرقي. وخصوصية ذكر الرحمن على غيره ما فيه من معنى الوسع والإطلاق والإحاطة... فكأنه يقول: خلق الله آدم الأكبر، المظهر الأجلى على ما هو عليه من الحيطة والشمول وتفريد الضدين"** (ص 80)، **فالمقصود من الصورة الإلهية المذكورة في الحديث هي مجموع الكمالات الجلالية والجمالية المنطوية في الإنسان، المعبر عنها بالذات الصرف الساذج والكنز المخفي والعماء والقرآن من حيث الأحدية، وبالفرقان وبالآفاق الكونية والأنفسية من حيث الأسماء والصفات المعبر عنها أيضاً بالواحدية .**

**قال الشيخ أحمد العلاوي في كتابه المواد الغيثية موضحاً معنى اختصاص الإنسان عموماً والإنسان الكامل خصوصاً بالخلافة الإلهية: "الحق تبارك وتعالى وإن كان ظاهراً في الأشياء بتجلياته وعموم صفاته على**

اختلافها، فقد ظهر في الإنسان ظهوراً لا خفاء فيه، أي بالربوبية، أو تقول بالذات المستحقة للألوهية. قال صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورة الرحمن"، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وخلّفه في خلقه، وجعله في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته، وله حظ من الجبروت من حيث سره، فقد اجتمع فيه الوجود بأسره، فكانت نسبته بين ملكه وملكوته هي المسماة بالإنسان، والنسبة التي بين الملكوت والجبروت هي المسماة بخليفة الرحمن، فكان من حيث ظاهره نقطة من طين، ومن حيث باطنه خليفة رب العالمين. فحقيقة الإنسان أعظم حقائق الوجود، إلا أنها خافية لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها الأفكار، فمن أبدله الحق حقيقة من هذه الحقيقة وكشف له عليها، فذلك قربه منه المخبر عنه في قوله عز من قائل: "لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه..." إلى آخر الحديث ". (ص 22-23).

نستنتج من كلام الشيخ أحمد العلاوي أن الولاية هي حقيقة سارية في كل إنسان، بل هي حقيقة كل إنسان من حيث أن الإنسان مخلوق على الصورة الإلهية ومنفوخ فيه من روح الله تعالى وأن الإنسان إنما كلف بالولاية لما في ذلك من كمال إنسانيته من خلافة الله في أرضه وعبوديته الكاملة له تعالى من حيث جميع أسمائه وصفاته لا من حيثية إسم معين ومظهريته للذات من حيث جميع كمالاتها. و هنا نورد نصاً أخراً للشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه "الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية" يوضح ما ذكرناه، قال الشيخ الجيلي: "إنه تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كلياً سماه حضرة الجمع والوجود لكونه جامعاً لحقائق الوجود... وسماه بالحقيقة المحمدية لكون الحمد هو مظهر حضرة الجمع والوجود وهو الهيكل

المحمدي، فهي وإن كانت لها مظاهر كثيرة فإنما تعينها بهذا الاسم لكون محمد صلى الله عليه وسلم أكمل مظاهرها، على أنه ما في الجنس الإنساني إلا وهو مظهر هذه الحقيقة. كل إنسان يكون فيه ظهورها وبطونها على قدر كماله ونقصانه، ولا بد من ظهورها بالكمال في كل إنسان كامل، واختص محمد صلى الله عليه وسلم بالأكملية الكبرى التي ليس لأحد عليها سبيل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم: أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر" لأنه الأولى بها من كل أحد...وسر ذلك (الإستخلاف الإلهي للإنسان وإسجاد ملائكته تعالى له) أن حضرة الجمع لها الغلبة على حضرة الفرق، فكل موجود من الموجودات حضرة فرق من الفروق (من حيث كونه مظهراً لإحدى الأسماء الإلهية) والإنسان هو حضرة الجمع والوجود (من حيث كونه مرآة للذات الإلهية ومظهراً لجميع أسمائها وصفاتها)...ولما كان الإنسان حضرة الجمع والوجود المحدثة من نور ذات الحق المخلوقة على الصورة الإلهية كما ورد في نص الحديث كان موصوفاً بالأسماء والصفات الإلهية".

وتابع الشيخ الجيلي بيان هذه المسألة فقال: "اعلم أن الإنسان لما كان مخلوقاً من نور ذات الله تعالى كان له حقيقة الكمالات الإلهية من حيث الذات والمرتبة على وجه الأصالة لا على سبيل التبعية والتفريع (مصداقاً لقوله تعالى: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} وقوله تعالى: {ونفخت فيه من روحي}) فهو يقابل الذات بذاته والهوية بهويته والواحدية بوحدانيته ويقابل الألوهية بما هو عليه من جميع صفات الكمالات الذاتية، ويقابل الأسماء النفسية بأسمائه النفسية حياة بحياة وعلماً بعلم وقدرةً بقدرة وإرادة بإرادة وسمعاً بسمع وبصراً ببصر وكلاماً بكلام" (ص 157-161).

إلا أن احتجاب الإنسان عن كمال إنسانيته التي هي ولاية الله وخلافته بتعلقه بمقتضيات هيكله الظلماني الحسي ومرغوباته الشهوانية النفسية كان سبب نقصه واختلال سلوكه وتعبه في الدنيا وشقائه في الآخرة، ولما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو من استحق الكمال الإلهي كما أوضح الشيخ الجيلي، بعثه الله تعالى برسالته الكاملة الجامعة لمقامات الإسلام الناسوتي والإيمان اللاهوتي والإحسان الجبروتي حتى يكون ظاهر هيكله الفرقاني وباطن قلبه القرآني وحقيقة هويته الروحية القدوة الحسنة للنوع الإنساني حتى يتبعه كل فرد من أفراد بني آدم ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً إلى ما فيه راحته وأمنه في الدنيا، وسعادته في الآخرة، وكماله في الدارين، ولذلك قال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم}. قال الشيخ عبد الرزاق القاشاني في تفسير هذه الآية: "محبة النبي عليه السلام إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقاً وحالاً وسيرةً وعقيدةً، ولا تتمشى دعوى المحبة إلا بهذا فإنه قطب المحبة ومظهرها، وطريقته صلى الله عليه وسلم المحبة... فإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي صلى الله عليه وسلم وسره وقلبه ونفسه.. فيلقي الله محبته عليه ويسري من روح النبي نور تلك المحبة أيضاً على قلبه أسرع ما يكون إذ لولا محبة الله لم يكن محباً له" (ذكره الشيخ اسماعيل حقي البروسوي في تفسير روح البيان، طبعة دار الفكر، الجزء الثاني، ص 23).

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بالمحبة لكونهم مظاهر صفاته وكمالاته ولذلك فإنه تعالى يمد كل هذه المراتب بنعمتي الإيجاد والإمداد أما الإنسان الكامل الذي تتحقق فيه مجموع هذه الكمالات والأسماء

والصفات فإنه مخصوص بكمال هذه المحبة لأنه هو العين المقصودة من خلق كل مراتب الوجود لتحقق مجموع الكمالات فيه ولكون محبة الحق لأن يعرف قد تم في حقيقته وصورته ونشأته، فالحق تعالى يمده بفيضه الأقدس الذاتي والمقدس الصفاتي وهذه هي الولاية الخاصة التي هي موضوع بحثنا هذا.

وكذلك فإن محبة الله ورسوله هي مفتاح تحقق الإنسان بكماله، وهذه المحبة هي الأساس الذي تقوم عليه الولاية وهي الأصل الذي قام عليه معظم كلام أهل الله من السادة الصوفية. قال الشيخ روزبهان البقلي في معنى هذه المحبة ودورها في كمال الولاية عند الإنسان: "إن الله سبحانه وتعالى ذاته القديمة موصوفةٌ أزلاً وأبداً بصفاته القديمة، ومن جملة صفات الحق الأُوَل: العشق، وقد عشق ذاته بذاته فهو العشق والعاشق والمعشوق، فصار العشقُ ذات لونٍ واحدٍ، لأنه من صفاته تعالى، وهو منزهٌ عن تغيُّر الحدثان . وأعرفُ محبة الحق هي أن يكون علمه لم يزل محباً بنفسه لنفسه ... إنه لم يزل علماً بنفسه وناظراً إلى نفسه بنفسه، لايوجد انقسامٌ فى أحديته. ولما أراد –تعالى– أن يفتح كنز الذات بمفتاح الصفات، تجلَّى على أرواح العارفين بجمال العشق ، وظهر لهم بصفات خاصة، فحصلوا فى كل صفةٍ لباساً فمن العلم علماً، ومن القدرة قدرة، ومن السمع سمعاً، ومن البصر بصراً، ومن الكلام كلاماً، ومن الإرادة إرادة، ومن الحياة حياةً، ومن الجمال جمالاً، ومن العظمة عظمةً، ومن البقاء بقاءً، ومن المحبة محبةً، ومن العشق عشقاً، كانت كل هذه (هو) فبرز (هو) فيهم، وأثَّرت الصفات فيهم، والصفةُ قائمةٌ بالذات، فأصبحت صفتهم قائمة من أثر ذلك... فكل من صار معشوقاً للحق، وعاشقاً للحق ، لايستطيع النزول من تلك الذروة،

ويصير فى العشق متَّحداً بالعشق. ولما اتحد العاشق والمعشوق صار العاشق والمعشوق بلون واحد، وعندئذٍ يصبح العاشق حاكماً فى إقليم الحق . فعندما غلب عليه الحق، أصبح قالبُ صورته جنانيا ، ونفسهُ روحانيةً ، وروحهُ ربانيةً".

وقال الشيخ أحمد التيجاني عن هذه المحبة أيضاً: "محبة الله على العبد هو إفاضة محبة ذاته المقدسة عليه، فهي غاية الغايات وإليها ينتهي سير كل سائر، ومن وصلها كملت له مطالب الدنيا والآخرة، قال [عليه الصلاة والسلام]: "حتى أحبه" يعني أفيض عليه محبة ذاتي على حد قوله تعالى: {يحبهم ويحبونه} [سورة المائدة آية 54]فلولا محبته لهم سبحانه وتعالى ما وصلوا إلى محبة ذاته... فيشهد العبد (الواصل إلى هذه المحبة) من نفسه قوة إلهية كأنه هو الذات المقدسة بجميع صفاتها وأسمائها (من حيث مرآتيته للذات وجمعيته للأسماء والصفات) كأنه هو وليس هو (من حيث صورته المقيدة الخلقية المتلبسة بالنقائص الإمكانية) ولكنه سبحانه أفاض عليه من أنوار صفاته وأسمائه".(جواهر المعاني للشيخ علي حرازم، ص236).

فكل إنسان عموماً له قابلية هذه الولاية الإلهية الخاصة بل هو مظهر لبعض اعتباراتها، أما الإنسان الكامل والولي المحمدي لله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً فهو الذي تتعين فيه الولاية بكمالها في سائر اعتباراتها. قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه "الكمالات الإلهية": "كل فردٍ من أفراد النوع الإنساني عنده قابلية الكمال الإلهي ولكن ما كل أحد مستعد لذلك. فالقابلية أصلية في كل شخص لأنه مخلوق من نور الذات الإلهية، ومن كان كذلك فهو ذو قابلية للكمالات الإلهية لكن الاستعداد هو الذي يبلغك

مرتبة الكمال، فمثل القابلية والاستعداد في الإنسان في الإنسان كمثل الصقل والمقابلة في المرآة، لأن كل مرآة مصقولة لا بد أن تكون قابلة لتجلي وجه الملك فيها ولكن لا يحصل ذلك إلا للمرايا المستعدة لذلك" (ص163).

وكخلاصة لما ورد في هذا الفصل نورد نصاً للشيخ عفيف الدين التلمساني في شرحه على مواقف النفري يلخص ما ذكرناه، قال لشيخ التلمساني: "(وقال لي: أنت معنى الكون كله) قلت: قد يقول قائل كيف يكون هذا العبد المشار إليه هو معنى الكون كله وهل ذلك مخصوص به أم هو لكل من قطع المراتب؟ فالجواب أنه حاصل لهذا العبد المخصوص ولكل من هو في معناه، وللأناس على العموم لكل منهم نصيب منه من كونه إنساناً على قدر منزلته. وبيان ذلك أن نذكر أولاً علائم تدل على صحة ذلك فمنها أنه [أي الإنسان] يخبر عن معاني الكون كله ولو لم يجدها عنده لم يشعر بها، ولا أخبر عنها، وليس في الكون من يخبر عنه. وأنت تجد ذلك فيما أخبر به هذا النوع الإنساني من معاني العقل الأول فما دونه من العقول والنفوس والأرواح والأجسام والمولدات من المعادن والنبات والحيوان المختلف الصفات ومن خواص الموجودات ومنافعها ومضارها، واختلاف أمزجتها وهيآتها، ووصف نفسه وشهد باريه ومصوره وهو مكون الأكوان فكيف يعجز عما دونه من مختلف الأعيان؟ وكل ذلك يجده في نفسه ولولا وجدانه لم ينطبع في حسه. ومن المعلوم بين هذه الطائفة [أهل الله الصوفية] الذي لا يشكون فيه قولهم: "إنك لا تعلم الشيء إلا بما فيه منك" وقال بعضهم: "فيك منه" والمعنى واحد. فأنت إن حققت أنك معنى الكون كله كنت ممن صح نسبه إلى آدم عليه السلام، فإن كثيراً من ولده لم

يصح إليه نسبه لنقصه عما يكون به الإنسان إنساناً، أما من صح نسبه استحق ميراث أبيه آدم فكان خليفة ربه وسجدت له ملائكة زمانه وحقبه ولم تقم الأشياء إلا به... فهو الناطق عن الوجود المخبر عما أظهر من الكرم والجود، فهو الكتاب المبين الذي أسطره تظهر ستر الغيب الأقدس وتبينه، ولو لم يكن معنى الكون كله لما ظهرت أسراره في محله". (ص 89-90).

ونبدأ الآن بتعريف الولاية فنقول: لقد عرف الملا عبد الرحمن الجامي الولاية والولي تعريفاً جامعاً لمراتب الدين الكامل الشريعة والطريقة والحقيقة فقال:

الولي مشتق من الولاء، بمعنى القرب. والولاية على نوعين: ولاية عامة وولاية خاصة.

فالولاية العامة: مشتركة بين جميع المؤمنين، قال الله تعالى: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} [سورة البقرة: 257].

والولاية الخاصة: للخواص، وهي مخصوصةٌ بالواصلين من أرباب السلوك، وهي عبارة عن فناء العبد في الحق وبقائه به، فالولي هو الفاني، والباقي به.

فالفناء عبارة عن نهاية السير إلى الله تعالى، والبقاء عبارة عن بداية السير في الله تعالى، لأن السير إلى الله تعالى لا ينتهي إلا بعد قطع بادية الوجود بقدم الصدق، والسير في الله تعالى لا يكون إلا بعد التحقق بالفناء المطلق، فيعطيه الله وجوداً موهوباً، وذاتاً مطهرةً من لوث الحدثان، فيها يتصفُ بأوصاف الله، ويتخلقُ بأخلاق الله تعالى.

**قال أبو علي الجوزجاني رحمة الله عليه: "الوليُّ هو الفاني عن حاله، الباقي في مشاهدة الحق، لم يمكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار".**

**وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتريد أن تكون وليَّاً من أولياء الله تعالى؟. قال: نعم. فقال: "لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرِّغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك عليه، فإذا اتَّصفت بهذه الصفة صرتَ ولياً".**

**وفي الرسالة القشيرية: " أن الولي له معنيان:**

**أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره، قال الله تعالى: {وهو يتولى الصالحين}** [سورة الأعراف، آية 196]**، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته.**

**والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان.**

**وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الإستقصاء والإستيفاء ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء. ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للمشرع عليه اعتراضٌ فهو مغرور ومخادع.**

**قصد أبو يزيد البسطامي، قدس الله سره، بعض من وُصِفَ بالولاية، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه، فخرج الرجل ورمى ببزاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد، ولم يسلم عليه، وقال: هذا الرجل غيرُ مأمونٍ على أدبٍ من آداب الشريعة، فكيف يكون أميناً على أسرار الحق؟!"**

**وقيل: جاء رجل إلى أبي سعيد بن أبي الخير، قدس الله سره، فقدم رجله اليسرى في دخوله المسجد، فقال الشيخ: ارجع، من لم يعرف آداب**

**دخول بيت الله لا ينبغي مصاحبته"**. (نفحات الأنس، الجزء الأول، ص10-11).

**وقال الشيخ أحمد بن عجيبة في تفسير البحر المديد في تفسيره لقوله تعالى {ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [سورة يونس، الآية 62]: " الولاية على قسمين: ولاية عامة، وولاية عرفية خاصة، فالولاية العامة، هي التي ذكرها الحق تعالى: فكل من حقق الإيمان والتقوى؛ فله من الولاية على قدر ما حصَّل منها، والولاية الخاصة خاصة بأهل الفناء والبقاء، الجامعين بين الحقيقة والشريعة، بين الجذب والسلوك مع الزهد التام والمحبة الكاملة وصحبة من تحققت ولايته. فقد سئل ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال: " الذينَ نَظَرُوا إلى بَاطِنِ الدنْيَا، حينَ نَظَرَ النَّاسُ إلى ظَاهِرِهَا، واهْتَمُّوا بآجِلِ الدُّنيا حِين اهتَمَّ النَّاسُ بعَاجِلِها؛ فأمَاتُوا منها ما خَشوا أن يُمِيتهم، وتركوا منها ما عملوا أن سيتركُهُم، فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادعٍ إلا وضعوه، خلقتِ الدنيا في قلوبهم فما يجددونها وخربت بينهم فما يعمرونها، وماتت في صدروهم فما يُحْيونها بل يهدمُونها، فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، نظروا إلى أهلها صرْعى قد حلَّت بهم المَثُلات، فما يرون أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يجدون".**

**وفي حديث آخر: قيل: يا رسول الله مَنْ أولياء الله؟ قال: " المتحابَّون في الله " وقال القشيري رضي الله عنه: علامة الولي ثلاث: شغله بالله، وفراره إلى الله، وهمه الله. هـ.**

وقال أبو سعيد الخراز رضي الله عنه: إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عباده فتح عليه باب ذكره، فإذا اشتد ذكره فتح عليه باب القرب، ثم رُفع إلى مجلس الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا عاين ذلك بقي بلا هو، فحينئذٍ يفني نفسه ويبرأ من دعاويها. هـ.

فأنت ترى كيف جعل الفناء هو نهاية السير والوصول إلى الولاية، فَمن لا فناء له لا محبة له، ومن لا محبة له لا ولاية له. وإلى ذلك أشار ابن الفارض رضي الله عنه، في تائيته بقوله:

فلمْ تهْوَني ما لم تكنْ فيّ فانِيًا ولم تَفنَ ما لَمْ تَجتَل فيكَ صُورتي

وقوله تعالى: { الذين أمنوا } أي: إيمان الخصوص، { وكانوا يتقون } ما سوى الله؛ فلا يطمئنون إلى شيء سواه، { لهم البشرى في الحياة الدنيا } ، حلاوة الذوق والوجدان، مع مقام الشهود والعيان، { وفي الآخرة } بإدراك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر ببال من المعارف والأسرار، فمن أدرك هذا فليوطن نفسه على الإنكار."

أ- تعريف علماء الشريعة:

الشريعة في الدين الإسلامي هي مجموع الأوامر والنواهي التي تتعلق بأفعال الإنسان، ومقصدها هو كمال الأفعال الإنسانية سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، فهدف الشريعة على مستوى المجتمع هو حفظ الحقوق من دماء وأموال وأعراض حتى يعيش الإنسان في بيئة من الأمن والعدل تتيح له التفرغ لما خلق له من التوجه إلى الله والعبودية له ومعرفته، وهدف الشريعة على مستوى الفرد هو تهذيب أفعاله حتى تحفظ عليها حدود العبودية لله وحسن المعاملة مع خلقه، فولاية الله من حيث الشريعة هي

**بالتزام طاعته واجتناب مناهيه، ومن هذه الحيثية هي أمر كسبي يقوم على تولي الإنسان لله بالعبادة والطاعة والانقياد وهي أول وأعم مقامات الولاية ولذلك تسمى أيضاً بمقام الإسلام.**

**قال الشيخ البيجوري في شرحه على متن جوهرة التوحيد للإمام اللقاني معرفاً الولي بلسان الشريعة: "الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب الإمكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي، المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات المباحة، أما أصل التناول فلا مانع منه، لا سيما إذا كان بقصد التقوي على العبادة، وهو لا يرتكب معصيةً دون توبة، إذ ليس معصوماً حتى لا تقع منه معصية بالكلية. وإنما سمي ولياً لأن الله تعالى تولى أمره فلا يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير تخللٍ بمعصيةٍ، وكلا المعنيين واجبٌ تحققه حتى يكون الولي عندنا ولياً في نفس الأمر. قال الرازي: (الولي من توالت طاعاته من غير تخلل معصية، أو هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالي عن كل أنواع المعاصي، ويديم توفيقه على الطاعات. والاسم مأخوذٌ من مثل قوله تعالى {الله ولي الذين آمنوا}** [سورة البقرة، الآية 257] **وقوله: {وهو يتولى الصالحين}**[سورة الأعراف، الآية 196] **وقوله: {إنما وليكم الله ورسوله}** [سورة المائدة، آية 55] **فالولي هو القريب، فإذا كان العبد قريباً من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وشدة إخلاصه وكان الرب قريباً منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية)"**. (شرح جوهرة التوحيد، المجلد الثاني، ص931-932 طبعة دار البشائر - دمشق).

**فكمال الولاية من حيث الشريعة هو طاعة الله بالتزام أوامره واجتناب مناهيه والتوجه إليه بالعبادة الدائمة.**

**ب- تعريف علماء الطريقة:**

**الطريقة هي التخلي عن الصفات البشرية الذميمة التي تبقي الإنسان مقيداً بشهوات جسده الحيوانية وأغراض نفسه الشيطانية والتحلي بالأخلاق الربانية التي تطلق الإنسان من أسر شهواته. فهي الكمال المتعلق بصفات وأخلاق الإنسان، ولا تحصل إلا بأن يقذف الله نور الإيمان في القلب حتى يستيقظ الإنسان إلى ضرورة سيره إلى الله، فهي بين الكسب والوهب، لأن النور الواقع في القلب هو وهبي أما سير الإنسان إلى الله فهو كسبي.**

**قال الشيخ إسماعيل حقي البروسوي في تفسير روح البيان معرفاً الولي بلسان الطريقة: "أولياء الله هم أحباء الله وأعداء نفوسهم، فإن الولاية هي معرفة الله ومعرفة نفوسهم فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة ومعرفة النفس رؤيتها بنظر العداوة... قال المولى أبو السعود رحمه الله: الولي لغةً هو القريب والمراد بأولياء الله خلَّص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه انتهى لأنهم يتولونه سبحانه بالطاعة أي يتقربون إليه بطاعته والاستغراق في معرفته بحيث إذا رأوا رأوا دلائل قدرته وإن سمعوا سمعوا آياته وإن نطقوا نطقوا بالثناء عليه وإن تحركوا تحركوا في خدمته وإن اجتهدوا اجتهدوا في طاعته".** (الجزء الرابع، ص 58، طبعة دار الفكر).

**فكمال الإنسان من حيث الطريقة هو بتخلقه بالأخلاق الإلهية وتجنبه للأخلاق البشرية وتحليه بالآداب النبوية ودوام القصد والتوجه إلى الله.**

**ج- تعريف علماء الحقيقة:**

**الحقيقة هي شهود الإنسان لتفرد الله بالوجود الحقيقي ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وتحققه بكونه مرآة اعتبارية عدمية لهذا الوجود الحقيقي وكمالاته، فهي متعلقة بالكمال الذاتي للإنسان لكون معرفة الله لا تتحقق إلا في هذا**

المقام وكمال الشريعة والطريقة لا يتم إلا لمن تحقق بالحقيقة ولذلك سمي هذا المقام بمقام الإحسان، وهو وهبي محض لا يكون إلا من باب الجود الإلهي.

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتاب الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية معرفاً الولي بلسان الحقيقة عند شرحه لاسم الله الولي: "الولي: هو المتولي أمر الوجود بذاته، المتجلي في ذلك بأسمائه و صفاته، فكل ما عليه الكون... فالله متولي أمر ذلك و جميعه راجع إليه صورةً ومعنى، وجوداً وحكماً. و هذا الاسم يستحقه الإنسان الكامل إذا كان الإنسان متولياً لله بذاته وصفاته لذاته ولصفاته، وكان التولي الإلهي للعالم الكوني راجعاً إليه كما هو راجعٌ إلى الله فيكون الولي هو ( مرآة ) الله تعالى... فالله ولي العالم والإنسان الكامل ولي الله". ( ص 71).

وقال أيضاً في كتابه لوامع البرق الموهن واصفاً الولي من حيث الحقيقة: "[الولي من حيث الحقيقة] مجذوب مخلص قد طهره [الحق تعالى] من دنس الخلقية فأفناه عما سواه وأبقاه بذاته في أسمائه وصفاته فيتزكى بها التزكية العظمى التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها"، وهذا العبد يستتر عن عينه العيوب الخلقية الحسية ويتداوله الصور المعنوية الإلهية فيكون الخلق عنده معقولا في الوجود لحفظ المرتبة الخلقية والحق مشهود له لتعين الذات الإلهية بصور أسمائها وصفاتها في كل مشهود مستودع وباطن وظاهر وأول وآخر قد ختم الحق سبحانه وتعالى على قلبه بخاتم الولاية فلا يرى ولا ويسمع ولا يعلم غير ذاته وأسمائه وصفاته فلا يدخل قلبه غيره بحال لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة فيا لها من حالة إلهية لا تتغير بتغير الزمان

**والمكان ولا يتطرق إليها الحرمان ولا يمر عليها الجديدان ما ألذها وما أحلاها".**

**وقال أيضاً بلسان الإشارة في كتابه الإنسان الكامل: "قال الله تعالى: {والله هو الولي}** [سورة الشورى، آية 9] **يعني الإنسان الكامل ( من حيث استخلافه على الكمال ) الذي قال فيه: {ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون}** [سورة يونس، آية 62] **لأنه يستحيل الخوف والحزن وأمثال ذلك على الله لأن الله هو الولي الحميد {وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير}** [سورة الشورى، آية 9] **أي الولي، فهو حقٌّ متصورٌ في صورةٍ خلقية أو خلقٌ متحققٌ بمعاني الإلهية، فعلى كل حالٍ وتقدير وفي كل مقالٍ وتقرير هو الجامع لوصفي النقص والكمال والساطع في أرض كونه بشمس المتعال.** (الجزء الأول، ص 31).

**وقال الشيخ روزبهان البقلي في تفسير عرائس البيان: "{ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ } [سورة البقرة، الآية 257] أخرجهم من ظلمات العدم الى كشف أنوار القدم، وأيضاً يقدسهم ويخرجهم من ظلمات البشرية بمياه الشفقة لنور الأبدية وأيضاً يزيلهم عن أوصافهم المحدثة ويقربهم الى بساط الحرية ويلبسهم صفات الأزلية وسناء الصمدية وقال ابن عطا: يغنيهم عن صفاتهم بصفاته فتندرج صفاتهم تحت صفاته كما اندرجت اكوانهم تحت كونه وحقوقهم عند ذكر حقه فيصير قائماً بالحق مع الحق للحق وقال: اينما بذل النفس لله على حكم الايمان من علامة الهدى، والقيام باداء ما استدعا منهما من علامة التوفيق، والانتهاء عما زجر عنه من علامة العصمة، فذاك لنفي الظلمات عنه بها نوره الله تعالى انوار من الايمان وذلك الذي يوجب له الولاية قال الله تعالى: {ولي الذين أمنوا} الآية وقال**

الواسطي: يخرجهم من ظلمات نفوسهم صدقها ورضاها وتقواها الى نور صفاته وما سبق لهم من منايحه، وقال أيضاً: يخرجهم من ظلمات نفوسهم إلى أنوار ما جرى لهم فى السبق عن الرضا والصدق والمحبة وغيرها وقال النوري: يخرجهم من ظلمات العلم الى نور المشاهدة لأنه ليس المعاين كالمخبر قال الجنيد: يخرجهم من الظلمات اوصافهم الى انوار صفاته قال ابو عثمان: يخرجهم من روية الأفعال الى روية المنن والأفضال".

وقال الشيخ إسماعيل حقي البروسوي في تفسير روح البيان: " وفي التأويلات النجمية: إن للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته وأسمائه مفازا اي فوز ذات الله وصفاته حدآئق روضات القلوب المنزهة الأرضية واعنابا اشجار المعاني والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب اترابا ابكارا اللطائف والمعارف وكأسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزآء من ربك عطاء حسابا اى فضلا تاما كافيا من غير عمل". (الجزء العاشر صفحة 309).

فكمال الإنسان من حيث الحقيقة هو بتحققه بفناءه من حيث تعينه وصورته الجزئية ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وببقاء الله الذي يمده في كل جزءٍ لا يتجزأ من الزمان بالوجود الذاتي والكمالات الصفاتية والفعلية، فالكمال من حيث الشريعة عمل وتعلق بالله، ومن حيث الإيمان إتصاف وتخلق بصفات الله، ومن حيث الإحسان شهود وتحقق بوجود الله.

وكخلاصة لما ذكرناه، نورد تعريفاً جامعاً للولاية في مراتبها الثلاث، الشريعة والطريقة والحقيقة، قال الشيخ أبو محمد روزبهان البقلي الشيرازي

في كتابه مشرب الأرواح: "أول الطريق الإرادة ومعها المجاهدات، وأوسط الطريق المحبة ومعها الكرامات، وآخر الطريق المعرفة ومعها المشاهدات، فإذا تمكن في هذه المراتب ولا يجري عليه أحكام التلوين وصار سباحاً في بحار التوحيد وسر التفريد يكون ولياً نائباً للأنبياء وصادقاً من الأصفياء. والولاية اسم جامع لجميع منازل الصديقين، من جمع فيها حقائقها كان أمة، قال الله تعالى: {إن إبراهيم كان أمةً قانتاً}[سورة النحل آية 120] وقال عليه السلام: "إن قس بن ساعدة كان أمة" ومدح خيار أمته بالولاية والإلهام والمحادثة والكلام... وكمال الولاية التخلص من آفات النفس التي تورث الغم والحزن والبلوغ إلى مقام السلامة، قال الله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون} [سورة يونس آية 62] وقال العارف رضي الله عنه: الولاية الإتصاف بخلق الحق سبحانه" (ص93).

## 3- ثبوت الولاية بالكتاب والسنة

**قال الله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديلَ لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم}**[سورة يونس، آيات 62-64].

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه".**

### قرب الفرائض وقرب النوافل

**وقد استدل أهل الله بهذا الحديث على نوعين من القرب أو الولاية الخاصة بمن حقق الكمالات الإلهية المودعة فيه من القوة إلى الفعل: الأول قرب الفرائض الذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه" والثاني قرب النوافل الذي يدل عليه قوله: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه". قال الشيخ مؤيد الدين الجندي شارحاً معنى هذين القربين: "وذلك أنَّ وجود الحقِّ هو الأصلُ الواجب – وهو الفرض- ووجود العالم – وهو العبد- نفلٌ وفرعٌ عليه، لأن الوجود الحق لكمال سعته وسع الحقَّ المطلق والخلقَ المقيد، فإذا ظهر الحق خفي العبد فيه، كان الله ولا شيء معه أولاً {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار}** [سورة المؤمن الآية 16] **آخراً، فكان العبد سمع الحقِّ وبصره**

**وسائر قواه، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده". "هذه يد الله" واليد يد محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك هو الرامي حقيقة في {إذ رميت} فيده يد الحق والحق هو الرامي لنفيه الرمي عن محمد في قوله: {وما رميت إذ رميت} وإثباته الرمي للحق بقوله: {لكن الله رمى}** [سورة الأنفال آية 17]. **والثاني، قرب النوافل، فهو كون الحقِّ بوجوده محمولاً في إنية العبد وهويته له، فهو سمع العبد وبصره ولسانه وسائر قواه"**. (شرح فصوص الحكم، مؤيد الدين الجندي، طبعة بوستان كتاب قم، ص 363-364).

**وقال الشيخ التهانوي نقلاً عن التحفة المرسلة في تبيان معاني القربين المذكورين: "القرب على نوعين: قرب النوافل وهو زوال الصفات البشرية وظهور صفاته تعالى عليه، أي على البشر أن يحيي ويميت بإذنه تعالى ويسمع المسموعات من بعيد ويبصر المبصرات من بعيد وعلى هذا القياس، وهذا معنى فناء الصفات في صفات الله تعالى وهو ثمرة النوافل. وقرب الفرائض وهو فناء العبد بالكلية عن الشعور بجميع الموجودات حتى نفسه أيضاً، بحيث لم يبق إلا وجود الحق سبحانه. وهذا معنى فناء العبد في الله تعالى، وهو ثمرة الفرائض"**. (كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، الجزء الثالث، ص 489).

**نستنتج من كلام الشيخ الجندي والكلام الذي نقله الشيخ التهانوي أن قرب الفرائض هو تحقق الإنسان بعدميته الأصلية الذاتية له حتى يظهر له أن الوجود الحقيقي الذي قامت به ذاته هو الوجود الحق المطلق الواحد فيظهر له معنى قوله تعالى: {وهو معكم أينما كنتم} أي من حيث إيجادكم من عدمكم وإمدادكم في كل جزء لا يتجزأ من الزمان بوجوده الحقيقي مصداقاً**

لقوله تعالى: {إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا} ويظهر له معنى قوله تعالى: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن} وهي الآية التي قال عنها أهل الله تعالى أنه نفت الأغيار بالكلية، فقد سمي هذا القرب بقرب الفرائض لأن الوجود الحقي الجبروتي هو الأصل الحقيقي الذي قامت به سائر مراتب الوجود ومنها الإنسان فكان وجود هذه المراتب الإعتباري النافل الإضافي قائماً بوجود الحق الواجب الحقيقي.

وقال الشيخ إبن عطاء الله السكندري في حكمه: "قُرْبُكَ مِنْهُ أنْ تَكونَ مُشاهِداً لِقُرْبِهِ، وَإِلاّ فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ وَوجُودُ قُرْبِهِ" قال الشيخ إبن عجيبة شارحاً هذه الحكمة في كتابه إيقاظ الهمم: "قلت: إذا حققت أن الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته علمت علم يقين أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها وأن الحق كما كان وجود وحده ولا أين ولا مكان بقي كذلك لا أين ولا مكان ولا زمان نور أحديته محى وجود الأكوان فانتفى بوجوده الزمان والمكان ولم يبق إلا الواحد المنان وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار". فالوجود الحقيقي إنما هو لذاته وأثر صفاته تجلى واستتر واختفى فيما ظهر فإذا علمت هذا علمت انه تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شئ ولا شئ إلا الذي ليس كمثله شئ لكن حكمة الحكيم أثبتت الحادث والقديم فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده فأبصر الحق محيطاً به وماحياً لوجوده ومن طمس الله عين بصيرته لم ير إلا الفرق ولم يدرك إلا البعد فإذا أراد الله أن يقربه إليه فتح شعاع بصيرته فيبصر الحق قريباً منه محيطاً به... فمعنى قربك من الحق أن تكون مشاهداً لقربه منك قرب وجود وإحاطة وذلك بعد أن تلطفت عوالمك وفنيت دائرة حسك وحينئذ يتحقق قربك

منه"، فهذا هو القرب الذاتي الذي قامت به ذات الإنسان وغيره من معلومات الحق تعالى والمتحقق به هو الولي من حيث الحقيقة أو من حيث مقام الإحسان.

أما قرب النوافل فهو قرب الإنسان من الله من حيث صفاته وآثارها التي هي الأفعال حتى يتحقق بأن صفاته إنما هي قائمة بصفات الله تعالى فيتحقق الولي من هذه الحيثية أنه حي بحياة الله ومبصر ببصر الله وسميع بسمع الله ومريد بإرادة الله مصداقاً لقوله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وبقوله عليه الصلاة والسلام: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"، وبهذا أيضاً يتحقق أن فعله إنما ظهر بفعل الفاعل الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله عز من قائل: {والله خلقكم وما تعملون}. وقد سمي هذا القرب بقرب النوافل لأنه الصفة والفعل إنما هي شؤون اعتبارية نافلة على الذات، فمن تحقق بقرب الفرائض المتعلق بالحقيقة لا بد أن يتبعه قرب النوافل المتعلق بالإيمان والإسلام.

والولي الوارث المحمدي هو المتحقق بالمجموع على الكمال فيقوم بحقوق الشريعة من حيث جسده الناسوتي الملكي في مقام الأفعال، وتظهر عليه الصفات الإلهية والأخلاق الربانية من حيث قلبه اللاهوتي الملكوتي وتظهر على روحه الكمالات الذاتية الجبروتية من حيث أن هذه الروح هي نفخة من الروح الإلهي الكلي الذي قام به الوجود بأسره.

قال الشيخ سعيد الدين الفرغاني في كتابه "منتهى المدارك" شارحاً ما ذكرناه هنا من مراتب القرب وولاية الله تعالى: "إعلم أن مراتب القرب التي

هي العلة الغائية للسير والسلوك ورفع الموانع من وجهي العناية بالجذبة والهداية بالسلوك منحصرة في أربع مراتب:

"الأولى مرتبة المحبة المترتبة على الجذبة المعنية بقوله: "ما تقرب عبد بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه"، و(المترتبة أيضاً) على السلوك المعني بقوله: "ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه".

"الثانية: مرتبة التوحيد المبنية على الرتبة الأولى المشار إليها بقوله: "فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه".

"الثالثة: مرتبة المعرفة المبنية على الثانية المعبر عنها بقوله: "فبي يسمع وبي يبصر وبي يعقل" المعبر عنها بلسان القوم بمقام البقاء والجمع والحقيقة.

"الرابعة: مرتبة التحقيق وهي مرتبة الخلافة من وجه ومرتبة الكمال من جميع الوجوه المشتملة على جميع (المراتب السابقة) الجامعة بين البداية والنهاية وأحكامهما وأحكام مقام الجمع (أي شهود الوجود الحق كما هو مقتضى مقام الإحسان والحقيقة) والتفرقة (وهو شهود تمايز كمالات الوجود الحق بحسب المراتب الوجودية التي تظهر فيها كما هو مقتضى مقامي الطريقة والشريعة أو الإيمان والإسلام) والوحدة والكثرة والحقية والخلقية والقيد والإطلاق بلا غلبة ومغلوبية بينة ظاهرة عن الحضور بلا غيبة عن شيء مما ذكرناه ويقين بلا ريبة" (ص 106).

وتابع الشيخ الفرغاني كلامه قائلا: "وإنما قلنا أن مراتب القرب منحصرة في هذه المراتب الأربع وذلك لأن بين العبد بفقره وذله الذاتي له وبين مولاه بغناه وعزه الذاتي له بوناً بعيداً يقتضي انتفاء النسبة والرابطة بينهما غير أن الحب يثبت بينهما نسبة ورابطة من جهات ثلاث:

"إحداها: من جهة الفعل الرابط بين الفاعل والمفعول.

"ثانيهما من جهة الصفة التي هي القدر المشترك بين ذات الوصف والموصوف والقديم والمحدث وبين المتعين بالذات والمتعين بالغير والعرض.

"ثالثهما: من جهة الذات التي هي عين الوجود.

"فتسري المحبة للطفها أولاً في الفعل وثانياً في الصفة وثالثاً في الذات فتزيل الأحكام الإعتبارية بين الفاعل والمفعول، ثم تزيل العوارض والنسب والإضافات المجازية الطارئة على الصفات الأصلية كالسمع والبصر مثلاً حتى تتوحد بإسقاط تلك النسب والإضافات عنها كما قال: "كنت سمعه وبصره"، ثم لا تبقي ولا تذر من غيرٍ ولا غيرية لا عيناً ولا أثراً.

"فحينما قوي ظهور سلطان المحبة ترتب عليه التوحيد، وبالتوحيد تتحقق المعرفة بسراية المحبوب في المحب بموجب: "فبي يسمع وبي يبصر وبي يعقل" ثم بالرجوع من البداية (أي مقام الجمع والتوحيد الذاتي لأنه بداية وأصل كل الموجودات) إلى النهاية (أي مقام التفرقة والكثرة وهي آخر مراتب الوجود) والجمع بين أحكامهما تتبين مرتبة الكمال والتحقيق، ثم فوق ذلك طور الأكملية المختصة بالحضرة المحمدية" (ص 106).

هذا وسنشرح مقام الأكملية المخصوص بالحضرة المحمدية في فصل لاحق من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

## 4- إثبات كرامات الأولياء

يتضح فيما ذكرنا في الأبواب السالفة أن الولاية هي القرب من الله وخلافته في أرضه، فكما عم الله سائر مراتب الوجود بنعمه وكرمه سواء كانت هذه الرتبة قريبة منه بجمعيتها لكمالاته أم بعيدة عنه بقلة هذه الجمعية، فقد خص الله أهل القرب بكرامات تكون دليلاً على قربهم وعظم قدرهم عند الله، وقد أثبت كلا من الكتاب والسنة هذه الكرامات.

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي موردا الأدلة الشرعية والنقلية على هذه الكرامات: في كتاب دلائل النبوة للإمام المستغفري (أبو العباس جعفر بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي الفقيه) رحمة الله عليه: "كرامات الأولياء حقٌّ بكتاب الله تعالى، والآثار الصحيحة المروية، وإجماع أهلِ السنة والجماعة على ذلك. فأما الكتاب فقوله تعالى: {كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا} [سورة آل عمران، آية 37]. قال أهل التفسير في ذلك: كان يرى عندها فاكهةَ الصيف في الشتاء، وفاكهةَ الشتاء في الصيف، ومريمُ، رضي الله عنها، لم تكن نبية بالإجماع، فهذه الآية حجةٌ على منكر الكرامات للأولياء".

وفي كتاب كشف المحجوب: أن الله تعالى أخبرنا في نص الكتاب عن كرامة آصف، لما أراد سليمان عليه السلام، وعلى نبينا الصلاة والسلام، أن يُحضر تختَ بلقيس، فأراد الله تعالى أن يظهر شرفَ آصف على الخلق ويُري كرامته أهلَ زمانه، فقال سليمان عليه السلام: {قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريتٌ من الجِنِّ أنا ءاتيك به قبلَ أن تقومَ من مقامكَ وإني عليه لقويٌّ أمين، قالَ الذي عندَهُ علمٌ من

**الكتاب أنا ءاتيك بهِ قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طرفُكَ فلما رءاهُ مستقِرَّاً عنده} الآية** [سورة النمل، آيات 38-40] **فما أنكرَ عليه، ولا استحالةُ عليه. ولا يكونُ هذا بوجهٍ من الوجوه معجزةً لأن آصف لم يكن نبياً، فلا محالة تكون كرامة.**

**وأيضاً أحوالُ أصحاب الكهف، وكلامُ الكلبِ معهم، ونومهم وتقلبهم من جنبٍ إلى جنبٍ آخر. قال الله تعالى: {ونقلبهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد}** [سورة الكهف، آية 18]**، وهذه كلها خرقُ عاداتٍ وما كانت معجزةً، فلا بدَّ أن تكونَ كرامةً.**

**وأما إثباتُ الكرامة للأولياء من السُّنةِ الثابتةِ بالحديثِ الصحيحِ المرفوعِ، أنَّ أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالوا: "يا رسولَ اللهِ قل لنا شيئاً من عجائب الأمم الماضية". فقال صلى الله عليه وسلم: "بينما ثلاثةُ نفرٍ ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطرٌ فأووا إلى غارٍ فانطبقَ عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنهُ، واللهِ، يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدعُ كل رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال أحدهم: اللهم، إن كنت تعلم أنهُ كان لي أجيرٌ عملَ لي على فَرَقٍ[1] من أرز، فذهبَ وتركه، وأني عمدتُ إلى ذلك الفرقِ فزرعته، فصار أمره أني اشتريتُ منه بقراً. وأنهُ أتاني يطلبُ أجرتهُ فقلتُ له: إعمد الى تلك البقرِ فسقها. فقال لي: إنما لي عندك فرقٌ من أرز! فقلتُ له: إعمد الى هذه البقر، فإنها من ذلك الفرق، فسقها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فإنساحت عنهم الصخرة.**

**فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنهُ كانَ لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبطأتُ عنهما ليلةً فجئتُ وقد رقدا،**

---

[1] الفَرَق: مكيال يسع ستة عشر رطلاً.

وأهلي وعيالي يتضاغَونَ[2] من الجوعِ، وكنت لا أسقيهم حتى يشربَ أبواي، فكرهتُ أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنَّا بشربتهما، فلم أزل أنتظرُ حتى طلعَ الفجرُ، فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساحت الصخرةُ حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم، إن كنتَ تعلمُ أنهُ كان لي ابنةُ عمٍّ من أحبِّ الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمئة دينار، فطلبتُها حتى قدرتُ عليها، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدتُ بين رجليها قالت: اتقِ الله ولا تفض الخاتمَ إلا بحقِّهِ. فقمتُ وتركت المئة دينار، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتِكَ ففرِّج عنا. ففرَّجَ اللّهُ عنهم فخرجوا". رواه البخاري...

وروى الإمام المستغفري رحمه الله تعالى بإسناده: أن أمير المؤمنين علياً، رضي الله عنه،سأل رجلاً عن حديثٍ في الرحبة فكذَّبهُ، فقال: إنما كذَّبتني، قال: ما كذبتك. قال: فأدعو الله عليك إن كنتَ كاذباً أن يعميَ بصرَك؟ قال: فادعُ الله. فدعا عليه أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه، فعمي بصره فلم يخرج من الرحبةِ إلا وهو أعمى.

وهكذا عن سائر الصحابة والتابعين وتابع التابعين ومشايخِ الطريقة، طبقةً بعدَ طبقة، ظهرت الكرامات وخرقُ العادات فهي لا تعد ولا تحصى. قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: ولكثرة ما تواتر بأجناسها –يعني بأجناس الكرامات– من الأخبار والحكايات صار العلمُ بكونها وظهورها على الأولياء علماً قوياً انتفى عنه الشكوك، ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم يبق له شبهةٌ في ذلك".....

وفي كتاب "أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى"، تصنيف الشيخ الإمام قطبِ الأنامِ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي قدس الله تعالى سرَّه: ونعتقدُ أن للأولياء من أمتهِ –يعني أمة محمدٍ صلى الله عليه

[2] يتضاغون: أي يصيحون ويبكون ويضجون.

وسلم – كراماتٍ وواجبات، وهكذا كان في زمن كلِّ رسولٍ كان لهم أتباع ظهرت لهم الكرامات ومخرقات العادات، وكرامة الأولياء من تتمةِ معجزات الأنبياء، ومن ظهر له وعلى يده من المخرقات وهو على غير التزام بأحكام الشريعة، نعتقد أنه زنديق وأن الذي ظهر له مكرٌ واستدراج. (نفحات الأنس، الجزء الأول، ص33-39).

وقد روى الإمام الرازي عن الإمام علي في التفسير الكبير أنه قال: "والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية، وذلك لأن علياً رضي الله عنه في ذلك الوقت انقطع نظره عن الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه فتشبه بجواهر الأرواح الملكية وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره" انتهى (11-53).

قال إبن حجر في الإصابة في حياة الصحابة: وقد صحَّ أن الفاروق عمر إبن الخطاب رضي الله عنه كان له جيشٌ بنهاوند من بلاد العجم وكان سارية رضي الله عنه أميراً عليه، وكان العدو كامناً في أصل الجبل ولا يعلم به جيش المسلمين فنادى عمر وهو في المدينة على المنبر يخطب الناس يوم الجمعة: "يا سارية الجبل الجبل" فسمعوا صوته بنهاوند وتداركوا الموقف".

وروى البخاري والبيهقي والحاكم النيسابوري أن أسيد بن خضير وعبد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهبا من الليل وهي ليلة شديدة الظلمة وبيد كل واحد منهما عصاً فأضاءت لهما عصا أحدهما ومشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله.

وما زالت الكرامات تجري على أيدي أولياء الله تعالى إلى قيام الساعة مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم

**الدين" ومصداقاً لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "ربَّ أشعث أغبر مدفوعٌ بالأبواب لو أقسمَ على الله لأبرَّه"** (رواه مسلم).

# 5- الفرق بين المعجزة والولاية والاستدراج

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي موضحا الفرق بين المعجزة والولاية والاستدراج في كتابه نفحات الأنس: وفي التفسيرِ الكبير للإمام النحرير فخر الدين الرازي رحمه الله: إذا ظهرَ فعلٌ خارقٌ للعادة على إنسان فذلك إما يكون مقروناً بالدعوى، أو لا مع الدعوى.

والقسم الأول: وهو أن يكون بالدعوى إما أن تكون دعوى الألهية، أو دعوى النبوة أو دعوى الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشيطان. فهذه أربعة أقسام:

القسم الأول إدعاء الألوهية: وجوَّز أصحابنا ظهور خوارق العادات على يده من غير معارضة، كما نُقِلَ أنَّ فرعونَ كان يدعي الألوهية وكان يظهرُ على يدهِ خوارقُ العادات، وكما نُقِلَ أيضاً في حقِّ الدجال. قال أصحابنا: وإنما جاز ذلك لأن شكلَهُ وخلقتَهُ تدلُّ على كذبِهِ، وظهور الخوارقُ على يدهِ لا يفضي إلى التلبيس.

والقسم الثاني إدعاء النبوة: وهذا القسم على قسمين، لأنه إما أن يكونَ ذلك المدعي صادقاً أو كاذباً. فإن كان صادقاً وجبَ ظهور الخوارق على يده، وهذا متفقٌ عليه بين كلِّ من أقرَّ بصحَّةِ النبوة، وأما من كان كاذباً فلم يجز ظهور الخوارقِ على يدِه، وبتقديرِ أن تظهر وجبَ حصولُ المعارضة.

والقسم الثالث وهو ادعاء الولاية: فالقائلون بكرامات الأولياء اختلفوا في أنه هل يجوز ادعاء الكرامة، ثم إنها تحصل على دعواه أم لا؟

والقسم الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان: فعند أصحابنا يجوز ظهور الخوارق على يده وعند المعتزلة لا يجوز.

وأما الثاني، وهو أن تظهرَ خوارقُ العاداتِ على يدِ إنسانٍ من غير شيءٍ من الدعاوى، فذلك الإنسانُ إما أن يكونَ صالحاً مرضياً عند الله وإما أن يكونَ خبيثاً مذنباً.

والأول: هو القولُ بكرامات الأولياء وقد اتفقَ أصحابنا على جوازه وأنكرها المعتزلةُ إلا أبا الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي.

أما القسم الثاني: وهو أن تظهر خوارقُ العادات على بعض من كان مردوداً عن طاعةِ الله، فهذا هو المسمى بالاستدراج. (نفحات الأنس، الجزء الأول، ص31-32.)

وتحدث الشيخ يوسف النبهاني في كتابه "جامع كرامات الأولياء" عن وجوه تعدد الأمور الخارقة للعادة فقال: "واعلم أن خرق العادات على وجوه كثيرة. منها ما يكون عن قوى نفسية، فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية وقد تكون عن حيل طبيعية معلومة وبابها معلومٌ عند العلماء، وقد تكون عن نظم حروفٍ بطوالع وذلك لأهل الرصد، وقد تكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عند ذلك المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائي لا في نفس الأمر، وقد تكون في نفس الأمر على قدر قوة ذلك الاسم، فهذه الوجوه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى لها."

# 6-في طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم

ذكر الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي مراتب الأولياء وطبقاتهم على اختلاف أحوالهم في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية وأطال في ذلك، وقد لخصها الإمام يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء ونحن بدورنا نلخص ما لخصه.

قال رضي الله عنه: "اعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس، وهو اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة، ومنهم من تجمع له الحالات كلها والطبقات، ومنهم من يحصل له من ذلك ما شاء الله، وما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال والمقامات، ومنهم من يحصره عدد في كل زمان ومنهم من لا عد له لازم، فيقلون ويكثرون".

أ. أصحاب مراتب الولاية الذين يحصرهم عدد:

فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب: وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة. لا يكون منهم في الزمان إلا واحد، وهو الغوث أيضاً وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه.

ومنهم رضي الله عنهم الأئمة: لا يزيدون في كل زمان عن اثنين لا ثالث لهما، الواحد عبد الرب والآخر عبد الملك والقطب عبد الله ولو كانت أسماؤهم ما كانت. وهما اللذان يخلفان القطب إذا مات، وهما له بمنزلة الوزيرين، الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت والآخر على عالم الملك.

ومنهم رضي الله عنهم الأوتاد: وهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال، والتقسيم من الكعبة. وقد يكون منهم النساء وكذلك غيرهم، وألقابهم عبد الحي وعبد العليم وعبد القادر وعبد المريد.

ومنهم رضي الله عنهم الأبدال: وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل منهم إقليم فيه ولاية، الواحد منهم على قدم الخليل وله الإقليم الأول، والثاني على قدم موسى الكليم، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم على الكل الصلاة والسلام. وإنما سموا أبدالاً لكونهم إذا فارقوا موضعاً ويريدون أن يخلفوا به بدلاً منهم في ذلك الموضع لأمر يرون فيه مصلحة وقربة، يتركون به شخصاً على صورتهم لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك الشخص أنه عين ذلك الرجل، وليس هو بل هو شخص روحاني يتركه بدلاً منه على علمٍ منه، فكل من له هذه القوة فهو البدل، ومن يقيم الله عنه بدلاً في موضع ما ولا علم له بذلك فليس من الأبدال المذكورين.

ومنهم رضي الله عنهم النقباء: وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الإثني عشر برجاً، كل نقيبٍ عالمٌ بخاصية برج. واعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها. وأما إبليس فمكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه وهم من العلم

بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل علماء بالآثار والقيافة.

ومنهم رضي الله عنهم النجباء: وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم وإن لم يكن لهم في ذلك اختيار، لكن الحال يغلب عليهم، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم.

ومنهم رضي الله عنهم الحواريون: وهو واحد في كل زمان لا يكون فيه اثنان، فإذا مات ذلك الواحد أقيم غيره.

ومنهم رضي الله عنهم الرجبيون: وهم أربعون نفساً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، هم رجالٌ حالهم القيام بعظمة الله وهم من الأفراد. وسمُّوا رجبيين لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أول استهلال هلاله إلى يوم انفصاله ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجدونه الى دخول رجب من السنة الآتية، وقليل من يعرفهم من أهل هذا الطريق وهم متفرقون في البلاد، يعرف بعضهم بعضاً.

ومنهم رضي الله عنهم الختم: وهو واحد لا في كل زمان، بل واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية، فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه، وثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي، وهو عيسى عليه السلام، هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الفلك، فله يوم القيامة حشران، يحشر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويحشر رسولاً مع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومنهم رضي الله عنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام: في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، واعلم أن معنى قول النبي صلى الله عليه

وسلم في حق هؤلاء الثلاثمائة "إنهم على قلب آدم" وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غير هؤلاء ممن هو على قلب شخصٍ من أكابر البشر أو الملائكة، إنما معناه أنهم يتقلبون في المعارف الإلهية تقلب ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب، فإنه يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه، وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان وهو بهذا المعنى نفسه. ولكل واحد من هؤلاء الثلاثمائة من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق إلهي من تخلق بواحد منها حصلت له السعادة، وهؤلاء هم المجتبون المصطفون، ويستحبون من الدعاء ما ذكره الحق سبحانه في كتابه: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}[سورة الأعراف، آية 23].

ومنهم رضي الله عنهم أربعون شخصاً على قلب نوح عليه السلام: في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، هكذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الطبقة "أن في أمته أربعين على قلب نوح عليه السلام" وهو أول الرسل، والرجال الذين هم على قلبه صفتهم القبض، ودعاؤهم دعاء نوح {ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا}[سورة نوح آيه 28]. ومقام هؤلاء الرجال الغيرة الدينية وهو مقام صعب المرتقى وكل ما تفرق في هؤلاء الأربعين اجتمع في نوح كما أن كل ما تفرق في الثلاثمائة اجتمع في آدم، وعلى معارج هؤلاء الأربعين عملت الطائفة الأربعينيات في خلواتهم لم يزيدون على ذلك شيئاً، وهي خلوات الفتح عندهم ويحتجون على ذلك بالخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه".

ومنهم رضي الله عنهم سبعة على قلب الخليل عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، ورد به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاؤهم دعاء الخليل: {رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين}[سورة الشعراء آية 83] ومقامهم مقام السلامة من جميع الريب والشكوك، وقد نزع الله عنهم الغل من صدورهم في هذه الدنيا وسلم الناس من سوء ظنهم إذ ليس لهم سوء ظن، بل مالهم ظن فإنهم أهل علم صحيح.

ومنهم رضي الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، ورد به الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، هم ملوك أهل هذه الطريقة، لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوى المعبر عنها بالأجنحة التي بها يصعد وينزل، ولا يجاوز علم هؤلاء الخمسة علم جبريل وهو الممد لهم من الغيب ومعه يقفون يوم القيامة في الحشر.

ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، لهم الخير المحض والرحمة والحنان والعطف، والغالب على هؤلاء الثلاثة البسط والتبسم ولين الجانب والشفقة المفرطة ومشاهدة ما يوجب الشفقة، ولهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من القوى.

ومنهم رضي الله عنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام: في كل زمان، وله الأمر ونقيضه، جاء بذلك خبرٌ مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن له علم بإسرافيل. وكان أبو يزيد البسطامي ممن كان على قلب إسرافيل وله من الأنبياء عيسى عليه السلام، فمن كان على قلب عيسى فهو

**على قلب إسرافيل ومن كان على قلب إسرافيل قد لا يكون على قلب عيسى.**

**وأما من رجال عالم الأنفاس رضي الله عنهم فأنا أذكرهم وهم على قلب داود عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، وإنما نسبناهم إلى قلب داود وقد كانوا موجودين قبل ذلك بهذه الصفة، فالمراد أن ما تفرق فيهم من الأحوال والعلوم والمراتب اجتمع في داود.**

**فمنهم رضي الله عنهم رجال الغيب: وهم عشرة لا يزيدون ولا ينقصون، هم أهل خشوع فلا يتكلمون إلا همسا لغلبة تجلي الرحمن عليهم في أحوالهم، قال تعالى: {وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}**[سورة طه آية 108] **وهؤلاء هم المستورون الذين لا يُعرفون، خبأهم الحق في أرضه وسمائه، فلا يناجون سواه ولا يشهدون غيره {يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}**[سورة الفرقان الآية 63] **دأبهم الحياء إذا سمعوا أحداً يرفع صوته في كلامه ترعد فرائصهم ويتعجبون.**

**ومنهم رضي الله عنهم ثمانية عشر نفساً أيضاً هم الظاهرون بأمر الله عن أمر الله: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ظهورهم بالله قائمون بحقوق الله مثبتون الأسباب خرق العوائد لهم عادة، آيتهم {قل الله ثم ذرهم}**[سورة الأنعام آية 91] **وأيضاً: {إني دعوتهم جهارا}**[سورة نوح آية 8].

**ومنهم رضي الله عنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الإلهية: آيتهم من كتاب الله {أشداء على الكفار}** [سورة الفتح آية 29] **لهم من الأسماء الإلهية ذو القوة المتين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، وقد يسمون رجال القهر لهم همم فعالة في النفوس وبهذا يعرفون.**

ومنهم رضي الله عنهم خمسة عشر نفساً هم رجال الحنان والعطف الإلهي: آيتهم آية الريح السليمانية {تجري بأمره رخاء حيث أصاب} [سورة ص، آية 36]. لهم شفقة على عباد الله مؤمنهم وكافرهم، ينظرون الخلق بعين الجود والوجود، لا بعين الحكم والقضاء، لا يولي الله أحدهم قط منهم أحداً ولاية ظاهرة من قضاء أو ملك لأن ذوقهم ومقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق، فهم مع الخلق في الرحمة المطلقة التي قال الله تعالى فيها: {ورحمتي وسعت كل شيء} [سورة الأعراف، آية 156].

ومنهم رضي الله عنهم أربعة أنفس في كل زمان: لا يزيدون ولا ينقصون، آيتهم من كتاب الله {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن}[سورة الطلاق، آية 12 ] وآيتهم أيضاً في سورة تبارك الملك: {الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت}[سورة الملك آية 3] هم رجال الهيبة والجلال.

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهم الذين يمدون الأوتاد، الغالب على أحوالهم الروحانية، قلوبهم سماوية مجهولون في الأرض معروفون في السماء، أحدهم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والآخر على قلب شعيب عليه السلام والثالث على قلب صالح عليه السلام، والرابع على قلب هود عليه السلام. ينظر إلى أحدهم من الملأ الأعلى عزرائيل، وإلى الآخر جبريل، وإلى الآخر ميكائيل، وإلى الآخر إسرافيل. شأنهم عجيب وأمرهم غريب.

ومنهم رضي الله عنهم أربعة وعشرون نفساً في كل زمان يسمون رجال الفتح: لا يزيدون ولا ينقصون، بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه

**من المعارف والأسرار، آيتهم في كتاب الله {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها}**[سورة فاطر آية 42].

**ومنهم رضي الله عنهم سبعة أنفس في كل زمان: لا يزيدون ولا ينقصون، رجال المعارج العلا، لهم في كل نفس معراج، وهم أعلى عالم الأنفاس: أي الأولياء أصحاب المراتب، آيتهم من كتاب الله تعالى: {وأنتم الأعلون والله معكم}**[سورة محمد آية 35].

**ومنهم رضي الله عنهم أحد وعشرون نفساً وهم رجال التحت الأسفل: وهم أهل النفس الذي يتلقونه من الله لا معرفة لهم بالنفس الخارج عنهم، وهم على هذا العدد في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، آيتهم من كتاب الله: {ثم رددناه أسفل سافلين}**[سورة التين 5] **يريد تعالى به عالم الطبيعة إذ لا أسفل منه، رده إليه ليحيا به، فإن الطبع ميت بالأصالة فأحياه بهذا النفس الرحماني الذي رده اليه، وهؤلاء الرجال لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند الله مع الأنفاس فهم أهل حضور مع الدوام.**

**ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس: وهم رجال الإمداد الإلهي والكوني في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، فهم يستمدون من الحق ويمدون الخلق ولكن بلطف ورحمة لا بعنف ولا شدة ولا قهر، يقبلون على الله بالإستفادة ويقبلون على الخلق بالإفادة.**

**ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان: لا يزيدون و لا ينقصون، يشبهون الأبدال في بعض الأحوال وليسوا بأبدال، آيتهم من كتاب الله {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية}** [سورة الأنفال آية 35].

**ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد وقد تكون امرأة في كل زمان: آيته {وهو القاهر فوق عباده}** [سورة الأنعام آية 18]، **له الاستطالة على كل شيء سوى الله، شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق، يقول حقا ويحكم عدلا.**

ومنهم رضي الله عنهم واحد متركب ممتزج في كل زمان: لا يوجد غيره في مقامه، وهو يشبه عيسى عليه السلام، متولد بين الروح والبشر، لا يعلم له أب بشري كما يحكى أن بلقيس تولدت بين الجن والإنس، فهو مركب من جنسين مختلفين، وهو رجل البرزخ به يحفظ الله تعالى عالم البرزخ دائماً، فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل، يكون مولده على هذه الصفة، فهو مخلوق من ماء أمه خلافاً لما ذكره أهل علم الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد، بل الله على كل شيء قدير.

ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد، وقد يكون إمرأة، له دقائق ممتدة الى جميع العالم: وهو شخص غريب المقام لا يوجد منه في كل زمان إلا واحد، يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب، فيتخيل أنه القطب وليس بالقطب.

ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد يسمى بمقامه سقيط الرفرف بن ساقط العرش: آيته من كتاب الله تعالى: {والنجم اذا هوى}[سورة النجم آية 1] حاله لا يتعداه شغله بنفسه وبربه، كبير الشأن عظيم الحال رؤيته مؤثرة في حال من يراه، فيه انكسار.

ومنهم رضي الله عنهم رجلان يقال لهما رجال الغنى بالله في كل زمان من عالم الأنفاس، أي الأولياء أصحاب المراتب كما تقدم، آيتهما من كتاب الله: {والله غني عن العالمين} [سورة آل عمران، آية 97] يحفظ الله بهما هذا المقام، للواحد منهما إمداد عالم الشهادة، فكل غني من عالم الشهادة فمن هذا الرجل، وللآخر منهما امداد عالم الملكوت فكل غني بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل، والذي يستمد منه هذان الرجلان روح علوي متحقق بالحق غناه الله ما هو غناه بالله.

ومنهم رضي الله عنهم شخص واحد يتكرر بقلبه في كل نفس: لا ترى في الرجال أعجب منه حالاً، وليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من

**صاحب هذا المقام، يخشى الله ويتقيه، آيته من كتاب الله: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}** [سورة الشورى آية 11]، **وقوله تعالى: {ثم رددنا لكم الكرة عليهم}** [سورة لإسراء آية 6]، **لا يزال ترعد فرائصه من خشية الله.**

**ومنهم رضي الله عنهم رجال التحكيم والزوائد وهم عشرة أنفس في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون: مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين في تحصيل ذلك الغيب، فلا يكون لهم غيب إذ كل غيب لهم شهادة، وكل حال لهم عبادة، فلا يصير لهم غيب وشهادة إلا ويزيدون إيماناً بغيبٍ آخر ويقيناً في تحصيله، آيتهم من كتاب الله تعالى:{وقل رب زدني علما}** [سورة طه آية 114] **{ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم}** [سورة الفتح، آية 4] **{فزدناهم إيماناً وهم يستبشرون}** [سورة التوبة آية 124] **بالزيادة. وقوله تعالى: {وإذا سألك عني عبادي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}** [سورة البقرة آية 186].

**ومنهم رضي الله عنهم اثنا عشر نفساًَ يقال لهم البدلاء وما هم الأبدال: وهم في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين، وسموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقون ناب منابهم وقام بما يقوم به جميعهم.**

**ومنهم رضي الله عنهم رجال الاشتياق وهم خمسة أنفس وهم من ملوك أهل طريق الله: بهم يحفظ الله وجود العالم، آيتهم من كتاب الله تعالى: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى}**[سورة البقرة آية 238] **لا يفترون عن صلاةٍ في ليلٍ أو نهار.**

**ب. الأولياء الذين لم يحصرهم عدد في كل زمان بل يزيدون وينقصون:**

فمنهم رضي الله عنهم الملامتية وقد يقولون الملامية: وهم سادات أهل طريق الله وأئمتهم، هم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها، وأقروا الأسباب في أماكنها ونفوها في المواضع التي ينبغي أن تنتفي عنها، ولا أخلوا بشيءٍ مما رتبه الله في خلقه على حسب ما رتبوه، فما تقتضيه الدار الأولى تركوه للدار الأولى، وما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار الآخرة، فنظروا للأشياء بالعين التي نظر الله اليها، لم يخلطوا بين الحقائق، فالملامية مجهولة أقدارهم لا يعرفون إلا سيدهم الذي حباهم وخصهم بهذا المقام.

ومنهم رضي الله عنهم الفقراء: قال تعالى تشريفاً لجميع الموجودات: {يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله}[سورة فاطر آية 15]. قال أبو يزيد: يا رب بما أتقرب إليك؟ قال: بما ليس لي: الذلة والافتقار. قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [سورة الذاريات آية 51] أي ليذلوا لي.

ومنهم رضي الله عنهم الصوفية: وهم أهل مكارم الأخلاق، يقال: من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف. مقامهم الاجتماع على قلب واحد، أسقطوا الياءات الثلاثة: فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي: أي لا يضيفون لأنفسهم شيئا.

ومنهم رضي الله عنهم العُبّاد: وهم أهل الفرائض خاصة، قال تعالى مثنياً عليهم: {وكانوا لنا عابدين} [سورة الأنبياء آية 73] ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض، ومن هؤلاء المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية، ويسمون السياح. ومنهم من يلازم بيته وصلاة الجماعات، ويشتغل بنفسه. ومنهم صاحب سبب ومنهم تارك السبب وهم صلحاء الظاهر والباطن وقد عصموا من الغل والحسد والحرص والطمع والشره المذموم، وصرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة، ولا رائحة عندهم من المعارف الإلهية والأسرار ومطالعة الملكوت والفهم عن الله تعالى في آياته

حين تتلى، غير أن الثواب لهم مشهود، والقيامة وأهوالها والجنة والنار لهم مشهودتان، دموعهم في محاريبهم، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعا وتضرعاً وخيفة، إذا خاطبهم الجهال قالوا سلاما، وإذا مروا باللغو مروا كراما، يبيتون لربهم سجدا وقياما، شغلهم خوف المعاد عن الرقاد، وضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة، وإذا انفقوا لم يسرفوا وكانوا بين ذلك قواما، ليسوا من أهل الإثم والباطل في شيء، عمال وأي عمال، عاملوا الحق بالتعظيم والإجلال.

ومنهم رضي الله عنهم الزهاد: وهم الذين تركوا الدنيا عن قدرة.

ومنهم رضي الله عنهم رجال الماء: وهم قومٌ يعبدون الله تعالى في قعور البحار والأنهار.

ومنهم رضي الله عنهم الأفراد: ولا عدد يحصرهم وهم المقربون بلسان الشرع، وهم رجال خارجون عن دائرة القطب والخضر منهم، ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله تعالى، وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه، ولا يشهدوا سوى ما عرفوا منه، ليس لهم بذواتهم علم عند أنفسهم، مقامهم بين الصديقية والنبوة التشريعية.

ومنهم رضي الله عنهم الأمناء: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لله أمناء".

ومنهم رضي الله عنهم القراء: أهل الله وخاصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته".

ومنهم رضي الله عنهم الأحباب: قال تعالى: {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه} [سورة المائدة آية 54] فمن كونهم محبين ابتلاهم ومن كونهم محبوبين اجتباهم واصطفاهم.

ومنهم رضي الله عنهم المحدثون: قال تعالى: {وما كان بشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب} [سورة الشورى آية 51].

**ومنهم رضي الله عنهم الأخلاء: قال الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا}** [سورة النساء آية 125] **وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله".**

**ومنهم رضي الله عنهم السمراء: وهم صنف خاص من أهل الحديث وهذا الصنف لا حديث لهم مع الأرواح فحديثهم مع الله تعالى.**

**ومنهم رضي الله عنهم الورثة: وهم ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، قال تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير}**[سورة فاطر، آية 32].

## 7- أنواع الكرامات وخوارق العادات وأجلُّها

لقد خص الله أولياءه الصالحين بأصناف كثيرة من الكرامات، منها ما هو من حيث الأفعال في خرق العوائد الحسية والظهور بالقدرة الإلهية في عالم الحكمة، وهذه أدنى أنواع الكرامات عند أهل الله لكونها قد تقع من أهل القرب والاختصاص ومن غيرهم كما تبين في باب سابق، وأعلى منها هو الكرامات المعنوية من حيث الصفات بأن يفتح الله على العبد أبواب الاتصاف بصفاته والتحقق بكمالاته، وهدايته لسلوك طريقه وجذبه إلى حضرته، وأعلى الكرامات وأجلها هي الكرامة الذاتية التي لا تفارق العبد أبداً وهي أن ينعم على العبد بالفناء في ذاته ومن ثم يبقيه حتى يحفظ عليه السير في كمالاته وهي أعز الكرامات التي لا تفارق العبد، بل يزداد من التنعم فيها في الدنيا والبرزخ والآخرة كما قال أهل الله تعالى.

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي مبيناً أنواع الكرامات في كتابه نفحات الأنس: وهي كثيرةٌ، كإيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وإظهارِ أمرٍ مستور، وسترِ أمرٍ ظاهر، واستجابةِ دعاء، وقطعِ مسافةٍ بعيدةٍ في مدةٍ قليلة، واطلاعٍ على أمورٍ غائبةٍ عن الحس، وإخبارٍ عنها، وحضورِ شخصٍ في أمكنةٍ متعددةٍ مختلفةٍ في زمنٍ واحد، وإحياء الموتى، وإماتةِ الأحياء، واستماع كلام الحيوانات والنباتات والجمادات من التسبيح وغيره، وإحضار الطعام والشرابِ في وقتِ الاحتياجِ بغيرِ سببٍ ظاهر، وغيرِ ذلك من فنونِ الأعمالِ المناقضةِ للعادة، كالمشيِ على الماء والسياحةِ في الهواء، وكالأكلِ من الكون، وكتسخيرِ الحيوانات الوحشيةِ، وكالقوةِ الظاهرةِ على أبدانهم، كالذي اقتلعَ شجرةً برجلهِ من أصلها وهو يدور في السماع، وضرب اليد على

الحائط فينشق، وبعضهم يشير بإصبعه إلى شخصٍ ليقعَ فيقع، أو يضرب عنق أحدٍ بالإشارةِ فيطيرُ رأسُ المشار إليه.

وبالجملة إذا جعلَ اللهُ لأحد أحبابه مظهر قدرته الكاملة يتصرَّفُ في هيولى العالمِ كيفَ يشاء، وفي الحقيقة ذلك التصرف والقدرةُ لله الواحد القهار، فلا يكون منه.

قال بعض كبراء العارفين: والأصلُ الذي يجمع لك هذا كلَّهُ أنَّ من خرقَ عادةَ نفسِهِ ما استمرت عليه نفوسُ الخلقِ أو نفسُه، فإنَّ الله يخرق له عادةً مثلها في مقابلها تسمى كرامةً عند العامة، وأما الخاصةُ فالكرامةُ عندهم العناية الإلهية التي وهبتهم التوفيق والقوة حتى خرقوا عوائدَ أنفسِهم، فتلك الكرامة عندهم، وأما التي تسمى في العموم كرامة، والرجال اتقوا من ملاحظتها بمشاركة المُستدرج الممكور به، ولكونها معاوضة خافوا أن تكون حظَّ عملهم، لأن الحظوظ محلها الدار الآخرة، فإذا عُجِّلَ منها شيءٌ فزعنا أن يكونَ حظَّ عملنا، وقد وردت في ذلك أخبار، وأنَّى يصح الخوف مع الكرامة؟ فإذاً ليست بكرامةٍ عندنا وإنما خرقُ عادة، فإن اقترنَ معها البشرى بأنها زيادةٌ لا تنقصُ حظاً، ولا سبقت لحجابٍ فحينئذ تُسَمَّى كرامة، فالبشرى على الحقيقة هي الكرامة.

وقال أيضاً: أجلُّ الكرامات وأعظمها التلذذ بالطاعات في الخلوات والجلوات، ومنها مراعاةُ الأنفاسِ مع اللهِ تعالى، ومنها حفظُ الأدبِ معه في تلقي الواردات في الأوقات، ومنها الرضا عن الله تعالى في جميع الحالات، ومنها البشرى لهم من الله بالسعادةِ الأبدية في الدار الآخرة. (نفحات الأنس، الجزء الأول، ص40 – 41).

وقال الشيخ أحمد بن عجيبة في كتابه إيقاظ الهمم: "فقال [الشيخ إبن عطاء الله السكندري مؤلف الحكم العطائية] رضي الله عنه: ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الإستقامة. قلت: الكرامة الحسية هي خرق الحس العادي كالمشي على الماء والطيران في الهواء وطي الأرض ونبع الماء وجلب الطعام والإطلاع على المغيبات وغير ذلك من خوارق العادات والكرامة المعنوية هي استقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظفر بنفسه ومخالفة هواه وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله والمعتبر عند المحققين هي هذه الكرامة وأما الكرامة الحسية فلا يطلبونها ولا يلتفتون إليها إذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلاً كالسحرة والكهان وقد تظهر على أيدي الرهبان وليست بكرامة إنما هي استدراج. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الإقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيتها ثم جعل يشتاق إلى غيرها فهو عبد مغتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشتاق إلى سياسة الداوب وخلع الرضى. قال: وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص أو هالك مثبور اه وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان إنما الشأن من تطوى له صفات نفسه فإذا هو عند ربه. قلت: والكرامة الحقيقية هي الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين وأما خوارق العادات الحسية فإن صحبتها الاستقامة ظاهراً وباطناً وجب تعظيم صاحبها لأنه شاهدة له بالكمال مما هو

فيه وإن لم تصحبها استقامة فلا عبرة بها والغالب أن أهل الباطن كرامتهم باطنية ككشف الحجب ومزيد الإيمان ومعرفة الشهود والعيان... وأعظم الكرامة الفهم عن الله والرضى بقضاء الله وترك التدبير والاختيار مع الله وإقامة العبد حيث إقامه الله".

## 8- الفرق بين النبوة والولاية

إن الفرق بين النبوة والولاية من المسائل الدقيقة في الدين الإسلامي، سواء كان ذلك من حيث مقام الإسلام أو الإيمان أو الإحسان. والمتفق عليه عند أهل السنة والجماعة هو فضل النبوة على الولاية إذ أن التحقق بالولاية لا يكون إلا بمتابعة ما أخبر عنه نور النبوة شريعةً وطريقةً وحقيقة. إلا أن أهل الله من السادة الصوفية ذهبوا إلى أن الولاية في الرسول أتم وأكمل من النبوة والرسالة فيه، وذلك أن النبوة هي عبارة عن الإنباء عن الله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، والرسالة هي البعثة برسالة مخصوصة مقرونة بتشريع إما لقومٍ مخصوصين كما كان الحال في الرسل غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو برسالة عامة لكافة البشر كما هو شأن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والنبوة والرسالة في الرسول لا يكونان إلا باعتبار الخلق والأمم التي بعث إليها الرسل، أما الولاية فهي العلاقة المباشرة بين الرسول أو النبي بالله تعالى التي يستمد منها معرفته بالله بل والتشريع الذي يأتي به إلى الخلق ومعرفة الرسول أو النبي بالله تعالى أتم مما أثبته لعموم الخلق من التشريع لأن التشريع أمر عام يدخل فيه من له قابلية الولاية الخاصة ومن ليس له هذه القابلية أما معرفته بالله فلا يحصل أنوارها إلا من له قابلية الولاية الخاصة وحتى هؤلاء لا يحصلون منها إلا على قدر استعدادهم لا على قدر معرفة النبي أو الرسول، يتبع ذلك أن نقول أن النبوة والرسالة في النبي أو الرسول متناهية محصورة بمدة نبوته ورسالته، أما ولاية النبي أو الرسول فإنها لا تنقطع بوفاته.

أما عموم الأولياء فهم يستمدون من مشكاة النبوة ولم يصلوا للولاية إلا بصحة المتابعة، فحتى من تحقق منهم بمقام الإحسان والحقيقة فإنه لم يتحقق إلا بالاستمداد من أنوار نبي أو رسول، وكان أكملهم هم الأولياء المحمديون الذين استمدوا من روح وقلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم المعبر عنهم بالأفراد عند بعض أهل الله، وبالمحققين عند آخرين.

فالحاصل أن الولاية بكمالها لا تحقق لها إلا في نبي أو رسول، وأنها لم تتعين على الكمال إلا في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وسنذكر في هذا الباب نصوصاً من كلام أهل الله عن هذه المسألة الدقيقة والمهمة توضح ما ذكرناه.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في كتابه فصوص الحكم شارحاً الفرق بين النبوة والولاية: "واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع وله الإنباء العام، أما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد صلى الله عليه وسلم انقطعت... فإذا رأيت النبي يتكلم بكلامٍ خارجٍ عن التشريع فمن حيث هو وليٌّ عارف ولهذا مقامه من حيث هو عالمٌ وولي أتم وأكمل من حيث هو رسولٌ أو ذو تشريع وشرع، فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول لك أو ينقل إليك عنه أنه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول أن الولي فوق النبي والرسول فإنه يعني بذلك في شخصٍ واحد و هو أن الرسول من حيث أنه ولي أتم منه من حيث أنه نبي أو رسول، لا أن الولي التابع له أعلى منه فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابعٌ له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعاً له فافهم. فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم، ألا ترى أن الله أمره الزيادة من العلم فقال: {وقل رب زدني علما} [سورة طه، آية 114] وذلك أنك تعلم

أن الشرع تكليفٌ بأعمالٍ مخصوصة أو نهيٌ عن أعمالٍ مخصوصة، ومحلها هذه الدار فهي منقطعة، والولاية ليست كذلك إذ لو انقطعت لانقطعت من حيث هي كما انقطعت الرسالة من حيث هي، وإذا انقطعت من حيث هي لم يبق لها إسمٌ والولي اسمٌ باقٍ لله تعالى فهو لعبيده تخلقاً وتحققاً وتعلقاً". (فصوص الحكم، ص 121-122).

أ- في أن النبوة والرسالة مراتب من ولاية الرسول ولذلك فإن الولاية الكاملة لا تكون إلا لنبي أو رسول وأن من ظهرت فيه النبوة والرسالة والولاية على الكمال هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

قال الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص: "(إذ) أي لأن (النبوة والرسالة خصوص رتبة) من المراتب (في) مقام (الولاية محتوية) تلك الرتبة (على بعض ما تحتوي عليه الولاية من المراتب) الإلهية فإن الإنباء والإخبار في مقام النبوة والتبليغ في مقام الرسالة كشفٌ في نفس الأمر بحسب الاستعداد الذي خلقت عليه الأنبياء والمرسلون لقبول فيض التجلي الدائم، فالكلُّ ولايةٌ وأخذٌ بطريق الكشف والتجلي ولكنَّ النبوة والرسالة خصوص حالةٍ من ذلك فإذا نقص هذا الخصوص كان هبوطُ مقامٍ في الجملة (فيعلم أنه) أي النبي والرسول الجامع لجميع مراتب الولاية خصوصها وعمومها (أعلى) مرتبةً عند الله تعالى (من) مرتبة (الولي الذي) نقصت ولايته بحيث (لا يكون) خصوص مرتبة (نبوة تشريع) للأمة (عنده) فيها (ولا) خصوص مرتبة (رسالة)". (الجزء الثاني، ص 117-118).

وقال الشيخ سعيد الدين الفرغاني في كتاب منتهى المدارك شارحاً ظهور الولاية على التمام والكمال صورةً ومعنىً في النبي صلى الله عليه وسلم: "فلا جرم من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم كانت النبوة ظاهرةً والولاية مخفيةً مندرجةً فيها لسلطنة حكم المظاهر في النزول واختفاء الأسماء في مظاهرها وغلبة حكم تلبسها على تجردها، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد كان صاحب صعودٍ وعودٍ ورجوعٍ لإشارة قوله تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}[سورة القصص، آية 85] ... فكان جملةً لما تفصل من آدم صورةً ومعنى كما كان آدم جملةً لتفصيل العالم صورةً ومعنى أيضاً...فكان اجتماع حقيقة الولاية مع حقيقة النبوة فيه على السواء بحيث لا يغلب حكم إحديهما على الأخرى غالباً وإليه الإشارة بقوله {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا}[سورة الأحزاب، آية 45] وأحياناً تغلب الولاية على النبوة فيه كما قال: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[سورة الفتح، آية 10] وقوله: "إن لي وقتاً مع الله لا يسعني فيه ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل" ووقتاً يغلب حكم النبوة على حكم الولاية فيه بدليل قوله تعالى: {إن هو إلا نذير لكم}[سورة سبأ، آية 34] وبقوله: {وما أنا إلا نذيرٌ مبين}[سورة الأحقاف، آية 9]. ولما كان صلى الله عليه وسلم صاحب عودٍ ورجوعٍ وعروجٍ كما كان آدم صاحب هبوطٍ ونزول لا جرم انتهى حكم النزول إليه، والنبوة لما كانت متعلقة بالنزول ليتبين ما يتعلق به الكمال الظاهر المناسب لذلك الزمان وقد تم وحصل وفرغ من ذلك فلا جرم ختم به النبوة فلا نبي بعده أصلاً وظهرت النبوة فيه مع ظهور الولاية على السواء بحكم تحققه بحقيقة السوائية بل كانت حقيقته عين السوائية بين الأول والآخر والظاهر والباطن بلا ميل وغلبة ومغلوبية أصلاً ثم انشقت الولاية منه

وظهرت متميزةً عن النبوة... فكما أن كليات تفرقة جمع صورة آدم عليه السلام كانوا خلفاء وأنبياء ورسلاً مندرجة فيهم الولاية لكونهم أصحاب نزول فكذلك تفرقة جمع معنى محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أولياء وأقطاباً مندرجاً حكم النبوة في ولايتهم لكونهم أصحاب عودٍ ورجوع على حكم جمعهم وكلهم الذي هو العين المحمدي صلى الله عليه وسلم صورةً ومعنى". (الجزء الأول، ص 84-85).

**ب- في الحقيقة المحمدية وأنها هي العين المقصودة من الوجود وأن الكمال الإنساني هو في متابعتها والتحقق بها:**

الحقيقة المحمدية عند أهل الله تعالى هي التعين أو التنزل أو التجلي الأول من غيب كنه الذات الإلهية مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: "أول ما خلق الله نور نبيك من نوره يا جابر". وهي الحقيقة الكلية الجامعة لوجهي الحقية والخلقية، والجمعية والفرقية، والإطلاقية والتقييدية المعبر عنها بحقيقة الحقائق من وجه والمشار إليها في قوله تعالى: {ونفخت فيه من روحي}. قال الشيخ عبد الرزاق القاشاني في كتابه لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام معرفاً حقيقة الحقائق: "يعنون به باطن الوحدة، وهو التعين الأول الذي هو أول رتب الذات الأقدس... وذلك لكليته وكونه أصلاً جامعاً لكل اعتبار وتعين، وباطناً لكل حقيقة إلهية وكونية وأصلاً انتشأ عنه كل ذلك. وقد عرفت أن المراد بذلك هو الوحدة بما يندرج فيها من شؤونها واعتباراتها الغير المتناهية. وهي عين البرزخ الأول، الأكبر، الأقدم، الذي هو الأصل الجامع لجميع البرازخ. وقد يقال في تفسير حقيقة الحقائق: إن ذلك هو اعتبار الذات الموصوف بالوحدة، جلت عظمته من حيث وحدتها وإحاطتها، وجمعيتها للأسماء والحقائق. وتسمى أيضاً مرتبة الجمع والوجود،

وحضرة الجمع والوجود... وفي التحقيق الأوضح: أن حقيقة الحقائق هي الرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر الرتب كلها، وهي المسماة بحضرة أحدية الجمع، وبمقام الجمع، وبها تتم الدائرة، وهي أول مرتبة تعينت في غيب ذات الله تعالى".

ثم عرف الشيخ القاشاني الحقيقة المحمدية بقوله: "يشيرون به إلى هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها، أي للحقائق والسارية بكليتها في كلها سريان الكلي في جزئياته، وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق لأجل ثبوت الحقيقة المحمدية في حاق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه (ص) حكم اسم أو صفة أصلاً... فكانت هذه البرزخية الوسطية هي عين النور الأحمدي المشار إليه بقوله (ص): «أول ما خلق الله نوري» أي قدر على أصل الوضع اللغوي، فهو (ص) أول ما خلق الله تعالى، وبهذا الاعتبار سمي (ص) بنور الأنوار، وبأبي الأرواح، كما مر، ثم أنه (ص) آخر كل كامل خلق الله، إذ لا يخلق الله بعده مثله في الكمال... والإشارة منه (ص) إلى أوليته بمعنى نوره، وآخريته بمعنى ظهوره هو قوله (ص): «نحن الأولون الآخرون» ، وهذه الحقيقة الكلية هي أصل جميع الأسماء الإلهية... ومعنى كون هذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية، أي أن الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى، ولحقيقة ذلك المعنى وتلك الحقيقة هي حقيقة الحقائق، فافهم".

فالحقيقة المحمدية هي النور الأصلي الذي خلقه الله من نور ذاته، فهي التي لها الإستمداد من الحق دون واسطة وإمداد الخلق بما قدره الله لهم من الكمال. فلما كانت الحقيقة المحمدية هي الحقيقة الكلية الأصلية التي رحم الله بها سائر معلوماته بإمدادها بها مصداقاً لقوله تعالى: {وما

أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، كان الإنباء عن الله الذي هو محتد مقام النبوة، والرسالة من الحق إلى الخلق، وولاية الله بالتحقق بكمالاته هي كلها من اعتبارات الحقيقة المحمدية. قال الشيخ عبد الكبير الكتاني موضحاً ذلك: "كل نبي تقدم زمان ظهوره على زمان ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة... فنبوته ذاتية دائمة، ونبوة المظاهر عرضية منصرفة إلا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنها غير منصرفة إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم وصورته التي أظهر فيها الحقيقة بجميع أسمائها وصفاتها، وسائر الأنبياء مظاهر بعض الأسماء والصفات تجلت في كل مظهر بصفة من صفاتها واسم من أسمائها إلى أن تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها، وختم به النبوة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم سابقاً على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة متأخراً عنهم من حيث الصورة". (أنظر الديوانة، ص 77، ملاحظة 2).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الكمالات الإلهية مبيناً تخصيص الحقيقة المحمدية بالكمال الإلهي المطلق من بين سائر مراتب الوجود: "اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكمل الوجود وأفضل العالم وأشرف الخلق بالإجماع لكونه مخلوقاً من نور الذات الإلهية وما سواه فإنما هو مخلوق من أنوار الأسماء والصفات فلأجل ذلك كان عليه السلام أول مخلوق خلقه الله تعالى. فكما أن الذات مقدمة على الصفات فمظهرها أيضاً مقدم على مظهر الصفات... فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاتي الوجود وما سواه فصفاتي الوجود، وذلك أن الله تعالى لما أراد أن يتجلى في العالم اقتضى كماله الذاتي أن يتجلى بكماله الذاتي في أكمل موجود ذاتي من العالم، فخلق محمداً صلى الله عليه وسلم من نور ذاته

لتجلي ذاته... فهو من العالم بمنزلة القلب الذي وسع الحق... ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتياً متسعاً للتجلي الذاتي كان متصفاً متحققاً بسائر الأسماء والصفات ومستوعباً لسائر الكمالات من جميع الوجوه وللنسب والاعتبارات فحاز صلى الله عليه وسلم الكمالات الوجودية الحقية والخلقية ولم يجتمعا بكمالهما في موجود". (ص115-116).

وقال الشيخ مصطفى البكري مبيناً نفس المعنى: "فهو صلى الله عليه وسلم كالقلب في وسعه سائر الأشياء، لأنه وسع تجلي الحق ولم تسعه السموات والأرض، فهو صاحب الوسع الذاتي الإلهي وسواه ليس له إلا الصفاتي، فجمع الكمالات الحقية والخلقية، وقد استدار زمانه كهيئة يوم خلقه الله، فإن قوسي دائرة الوجود أحدها ينسب للخلق والثاني للحق، قال الله تعالى: {ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} [سورة النجم آيات 8-9] وأو هنا معناها التفصيل... أي تارة كذا وتارة كذا، فهو صلى الله عليه وسلم تارة في مشهد القاب وتارة في مشهد أو أدنى، وتنزله للمشهد القابي تدلي فإن مقام أو أدنى لا يدانيه أحد على الكمال غيره صلى الله عليه وسلم... واستدارة الزمان عبارة عن انعطاف دائرة الرتبة الأولية على الآخرية وإحاطته بها وجمعيته لهما. فإنه جمع بين مشهد الأسماء تحققاً وتخلقاً وبين مشهد الذات تعلقاً، وجمع بين المشهد الخلقية والحقية في آن بحيث لا تشغله مشاهدة الخلق عن الحق (ولا مشاهدة الحق عن الخلق) وجمع كل ما تفرق من الكمالات في الأنبياء والمرسلين (من تشريع ناسوتي وتحقيق لاهوتي) وزاد عليهم بما خصه به الحق المبين (من التجلي الذاتي الجبروتي الذي هو من خلف الناسوت واللاهوت وإن كان جامعاً لهما) وهو الذي جمع الله فيه كل ما في العالم، ونوره صلى الله عليه وسلم هو المفاض عليه

**من النور بواسطة اسمه النور، فهو النور الكلي الجامع الذي كان عنده مدد الظهور الهامع... اعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم لما كان مستوعباً سائر الكمالات الظاهرة والباطنة... كان هيكله الظاهر لنا أصل كل كمال حسي ظاهر ومعناه الباطن أصل كل كمال غيبي باطن، وكان الكمال الظاهر عن فيض صورته الظاهرة والباطن عن فيض معانيه الباطنة"** (عن كتاب معرفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد التمسماني، ص 85-86).

**فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المجلى الذاتي الجامع لكل الكمالات الأسمائية والصفاتية والفعلية المخصوص بجمعية مقام قاب قوسين الأسمائي وأو أدنى الذاتي. قال الشيخ الفناري في شرح معنى مقام أو أدنى المحمدي في كتابه مصباح الأنس: "هو صورة عين البرزخية الأولى الأصلية، ويتجلى فيه عين التجلي الأول له أحدية جمعية بين جميع الأسماء الكلية والجزئية والأصلية والفرعية والذاتية والصفاتية بحيث لا يظهر غلبة شيء منها أصلاً فكان كل اسم منها مشتملاً على الجميع اشتمالاً حقيقياً وشهوده والنظر بعين قلبه والإشارة إلى تلك الأحدية الجمعية قوله تعالى: {أو أدنى} ولما كانت المحبة الأصلية الأولية هي عين القابلية وعين حقيقة الحقائق الأحمدية والبرزخية الأولى بينه الواحدية والأحدية، لا جرم كان قبلة توجهها وتعلقها عين المزاج الأجمل والقلب الأعدل المحمدي صلى الله عليه وسلم الذي هو محل كمال الإستجلاء الذاتي الأحدي الذي كان في الأول نوره ولذا كان اسم حبيب الله من أخص أسمائه صلى الله عليه وسلم".** (ص 74-75).

**فكان عليه الصلاة والسلام عين الكمال الإنساني ولذلك اختتمت النبوة والرسالة به عليه الصلاة والسلام ونسخت شريعته سائر الشرائع وكانت**

**طريقته أقصر وأتم الطرق إلى الله وحقيقته أكمل ما يمكن الوصول إليه من الحقائق الإلهية، فبعث لكافة البشر في كافة الأزمنة، وكان الكمال الإنساني الظاهر الناسوتي باتباع شريعته والكمال المعنوي الباطن اللاهوتي بالتخلق بأخلاقه في طريقته وكان كمال الولاية بالجمع بين سائر هذه الكمالات، قال الشيخ أبو الفيض الكتاني: "الرسول صلى الله عليه وسلم هو المظهر الأكمل الدال على الله بالله والدال على نفسه بنفسه والدال على نفسه الله والدال على الله بنفسه مع قوله :"من رآني فقد رأى الحق"".**

**وقال الشيخ عبد الله البوسنوي: "اعلم أن روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما كان مظهراً للجمع الأحدي الذاتي والفرق الأسمائي والصفاتي، وأراد الحق إظهار أسراره الغيبية المكنونة، وأنوار صفاته وتجلياته المستجنة المخزونة في غيب الهوية به صلى الله عليه وسلم، قدمه على سائر التعينات العلمية والحقائق الغيبية وجعله أصلاً لجميع الحقائق الإلهية الأسمائية والحقائق المظهرية الإمكانية".** (نقله عنه الشيخ يوسف النبهاني في كتاب جواهر البحار في فضائل النبي المختار، الجزء 4 ص 323)

**وتابع الشيخ البوسنوي قائلا: "اعلم أن المعرفة الإلهية والعبادة الربانية الذاتية لما توقفت على الصورة الكمالية المحمدية والصورة الكلية الحسية البشرية التي تحتوي على الصورة الإلهية الأسمائية المؤثرة الفعالة في الجمعية الأسمائية في حضرة الوجوب والصورة الخلقية المظهرية المؤثرة الانفعالية في الجمعية الخلقية في حضرة الإمكان محل النقائص والعيوب وتوقف تحقق تلك الصورة في حضرة الحس والشهادة على خلق آدم على الصورة الكلية الجمعية... نفخه (أي الروح المحمدي) فيه من روحه من حضرة الألوهية والحقيقة المحمدية... فكان سيدنا محمد صلى الله عليه**

**وسلم بجسمه وروحه روح الروح المنفوخ في آدم وسره ولبه الذي يمده"** (نفس المرجع ص 329-330).

**وقال الشيخ على دده: "فكان الهيكل الروحي الأحمدي صورة الوثيقة الإلهية الجامعة لحقائق الظهور والبطون، قد كتبها القلم الأعلى بيد القدرة والحكمة فأمضاه بخاتم النبوة المحمدية لأنه الحجة الكلية الأولية [ولذلك] قال صلى الله عليه وسلم: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وأنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري" إلى غير ذلك"** (نفس المرجع ص 229).

**ويلخص ما ذكرناه تعريف الحقيقة المحمدية تعريف الشيخ أبي الفيض الكتاني لها وهو: "كنه حقيقته صلى الله عليه وسلم هي اللطيفة الأصلية المطلقة الوسعية الإحاطية المعبر عنها بالأحمدية وبباطن الحق، وباللاهوت، وبالبحر المضمضم، وبحقيقة الحقائق، وبطلعة الحق، وبالأحدية، وبالحقية وبالوجود المطلق."** (الديوانة، صفحة 107، الملاحظة 5)

**ج- في كون النبوة والولاية ومراتبها اعتبارات للحقيقة المحمدية وتعريفها من حيث هذه الحقيقة**

**قال الشيخ مؤيد الدين الجندي في كون النبوة والولاية اعتبارين للحقيقة المحمدية في كتابه شرح فصوص الحكم: "فالتجلي الذاتي... لا يكون إلا للحقيقة الإنسانية الكمالية المحمدية الأزلية الأولية والأبدية الختمية... فاعلم أن لهذه الحقيقة تعيُّناً أحدياً جمعيّاً كمالياً في مرتبة ظاهريتها وباطنيتها، فظاهريتها النبوة وباطنيتها الولاية... والإنسان الذي تتعين به وفيه هو المظهر الأكمل والمرآة الأجلى والمجلى الأشمل لذات الذات الإلهية وصفاتها وأخلاقها ونسبها وإضافاتها وأسمائها وأفعالها وأحوالها. فأما ظاهريتها وهي جهة نبوتها فمرآة ذات الألوهية ومظهرها ومجلاها ومنظرها...**

وباطنها وهو ولايتها مرآةٌ للهوية الحقيقية الأحدية الجمعية المطلقة". (ص 246).

وقال الشيخ صدر الدين القونوي في كتابه "إعجاز البيان": "وختم الولاية المحمدية بمن تحقق بالبرزخية الثابتة بين الذات والألوهية، لأن ختمية النبوة تختص بحضرة الألوهية ولها السيادة في عين العبودية، ولختمية الولاية العامة سر باطن ربوبية العالمين بالملك والتربية والإصلاح وغير ذلك" (ص 342).

وقال الشيخ إبن قضيب البان في مواقفه: "أوقفني الحق على بساط القطبية، وقال لي: الإنسان الكامل قطب الشأن الإلهي وغوث الآن الزماني... وقال لي: القطب قلبه في كنِّ عالم الأزل ومخدع الألوهة... وهو نكتة إنسان العين في الأبد والأزل، وهو المرآة لرؤية وجه الحق، وعنده مقر قاب قوسين وقيام لواء الحمد... وقال لي: قلب القطب خزانة أرواح الأنبياء وله بكل وجه وجه. وقال لي: أرواح الأنبياء خزائن أسرار الحق. وقال لي: الكون كله صورة القطب وأنا ذاته، وبأنفاسه ظهور ألوان الشؤون الذاتية... وقال لي: القطب الفرد الواحد في كل زمان الحقيقة المحمدية، ولكل زمان قطب منها، وهو خطيب سر الولاء بكلمة: بلى، وهو شمس عروس {أشهدهم}، وساقي عشاق أشواق: {إن كنتم تحبون الله فاتبعوني} [سورة آل عمران، الآية 31] بأقداح راح: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [سورة النساء، الآية 80]، ومشنف سمع الجمع بلذيذ لحن: {فأينما تولوا فثم وجه الله} [سورة البقرة، الآية 115] ومقيم شميم المحبين برَوح نسيم {وهو معكم} وحاكم معالم الوجود بسطان: {أينما كنتم} [سورة الحديد، الآية 4]، وهو كوكب ليل الفلك وقمر سماء الملك ونقطة حرف كلمة سورة

**الكتاب المبين**" (كتاب الإنسان الكامل في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي، صفحة 150 -151).

**وقال أيضاً: "الحقيقة المحمدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء، وهي أم الكتاب، وحضرة العلم الجامع، وإنسان العيان السامع، ومنها كشف لي عن أسرار النور والوجود والعلم، فقال لي: كل ذلك مظاهرها وكلمتها الجامعة وصحيفتها الكاملة... ثم كشف لي منها عن نار العشق الأزلي والاتحاد العيني... ثم كشف لي عن ينبوع ذلك فإذا هي المركز والنقطة في فؤاد القطب المحمدي... وكشف لي عن سر عرش الحقيقة المحمدية وقال لي: "هو القلب الذي هو بيت عزتي ومخزن سري ومنبع نوري ومظهر سعة علمي وسرير سلطة اسمي. وقال لي: قالبه الهيكل الذي بنيته بيدي وهو مجمع البحرين وقاب قوسين. وكشف لي فيه عن خزائن الرحمة وتنزل الآيات، وكيفية حلولها دون ممازجة، وسريانها في الأسماع والأبصار بسر التجريد في قوالبها. ورأيت حكم سريانها في مرآة الخيال وقيامها في مظاهر النبوة. ثم كشف لي عن إحاطة الولاية بالرسالة والنبوة، وسر بقائها وعموم شمولها للخلق والحق، وأراني كيفية إطلاقها في صورة القيد، وتحققتُ خصوص مراتب قربها وجمعيتها في مظهر الإسلام والإحسان. وقال لي: اختصت النبوة بالإيمان كما اختصت الولاية بالإحسان. وقال لي: الولاية مرآة الولي لرؤية مرايا وجوه الموجودات، وبها رَفْعُ حجب الظلمات، وتمييز كل ماهيةٍ وهيولاها، وهي على حسب استعداد كل طالب... وقال لي: في الولاية مجموع صور الأعيان الثابتة تحت تسخيرها. وقال لي: وبها يكون التجلي الذاتي والقصد الأول الأقدس**". (كتاب الإنسان الكامل في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي، الصفحة 155-156).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل موضحاً ذلك: "اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحدٌ منذ أن كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباسٍ آخر. فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان... وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمانٍ بصورة أكملهم ليعلي شأنهم و يقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم". (الجزء الثاني، ص74-75).

وقال أيضاً في كتابه "شرح مشكلات الفتوحات المكية: "الحقيقة المحمدية الكلية... موجودة بسريانها في كل نبيٍّ وولي بالعين والشهود، وفيما عدا هذين الوصفين بالحكم والوجود، فهي على التحقيق روح الأرواح... وهو حقيقة الختم، وهو اللطيفة الذاتية المتعينة في الصورة الجزئية بالكمالات الكلية" (ص90-92).

### د- في تعريف الولاية الذاتية المحمدية:

إن الولاية المحمدية هو الولاية الكبرى التي تكون للذات الإلهية على الكمال دون اعتبار أي من الصفات الجلالية والجمالية، وهذه الولاية لا تكون إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأصل ولوراثه الكمل من الأولياء بالمتابعة والوراثة.

وقال الجيلي في تعريف الولاية الذاتية المحمدية ومبيناً الفرق بينها وبين سائر الولايات وجمعيتها لها: "(إن) عود الحقيقة الإنسانية من أنهى متنزلها إلى الحق الذي هو محتدها الأصلي و قيامها به بعد تجردها عن الرسوم الخلقية ومحوها وفنائها في تجليه الذاتي إن كان باقتضاء حكم الأحدية وسرايتها أفاد القرب الأقرب... وهذا القرب إنما يضاف إلى الحقيقة السيادية المحمدية بالأصالة وإلى غيرها بحكم الوراثة، فقيام الحقيقة الإنسانية بالحق من حيثية هذا القرب هي الولاية الخاصة المحمدية التي فيها جوامع تفصيل الولايات الجمة. وإن (هذا القرب) باقتضاء الحضرة الإلهية الواحدية... أفاد القرب القريب وهذا القرب إنما يضاف إلى الحقائق الكمالية الإنسانية (من الأنبياء والرسل وغير المحمديين من الأولياء) ... وهذه الولاية متنوعة التفاصيل متفرعة من الولاية الجامعة السيادية حسب اقتضاء الأسماء الإلهية وحقائق الكمل ... فاعلم أن (الولاية هي الفلك الأقصى) فان دائرتها دائرة عموم الأحدية والإلهية وهي الدائرة الكبرى المحيطة بالولاية الذاتية الأحية والأسمائية جمعا وفرادى. ومن وجوهها دوائر نبوات التشريع والرسالة... ولا يمكن عودة الولي إلى مجنى ثمرة ولايته في القرب القريب أو الأقرب إلا بإيمانه أولاً بالغيب ولا يصح إيمانه إلا أن يؤمن بما جاء به الرسول، فالولي يتبع النبي مقتدياً به. وإذا عاد إلى حضرة القرب القريب (الأسمائي) أو الأقرب (الذاتي) كان شهوده من حيثية من كان قلبه على قلبه من الأنبياء والرسل فكان وارثاً له في ذلك". (كشف الغايات شرح كتاب التجليات، ص 112-113).

وقال أيضاً: "فاعلم أن الذاتيين عبارةٌ عمن كانت اللطيفة الإلهية فيهم، فإن الحقَّ إذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه أقام فيه لطيفةً إلهية، فتلك

**اللطيفة قد تكون ذاتيةً وقد تكون صفاتية، فإذا كانت ذاتيةً كان ذلك الهيكل الإنساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع، عليه يدور أمر الوجود ... وبه يحفظ الله العالم وهو المعبر عنه بالمهدي والخاتم، وهو الخليفة وأشار إليه في قصة آدم، تنجذب الحقائق إلى امتثال أمره انجذاب الحديد إلى حجر المغناطيس ...**"( الإنسان الكامل، الجزء الأول، ص 72).

**وقال أيضاً: "{ذلك الكتاب} والكتاب هو الإنسان الكامل...{لا ريب فيه هدى للمتقين} الذين هم وقاية عن الحق والحق وقاية عنهم، فإذا دعوت الحق كنيت به عنهم وإن دعوتهم فقد كنيت بهم عنه {الذين يؤمنون بالغيب} والغيب هو الله لأنه غيبهم آمنوا به أنه هويتهم وأنهم عينه {ويقيمون الصلاة} يعني يقيمون بناموس المرتبة الإلهية في وجودهم بالاتصاف بحقيقة الأسماء والصفات {ومما رزقناهم ينفقون} يعني يتصرفون في الوجود من ثمرة ما أنتجته هذه الأحدية الإلهية في ذواتهم، فكأنهم رزقوا ذلك بواسطة ملاحظة الأحدية الإلهية فيهم، فهؤلاء السابقون المفردون المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: "سيروا سبق المفردون"**. (الإنسان الكامل، الجزء الثاني، ص 138-139).

**ولذلك جعل أهل الله السادة الصوفية محبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومتابعته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً أساساً للطريق إلى الله تعالى، واعتبروا أن الوصول إلى الله على الكمال هو الوصول الى التحقق بالحقيقة المحمدية. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في "التنبيهات على علو الحقيقة المحمدية": "فإذا أردت أن ترى الحق على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية فالزم الإيمان والاتباع له صلى الله عليه وسلم واجعله مثل المرآة أمامك، وقد علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لسيدنا**

**محمد صلى الله عليه وسلم في مرآته فيكون ظهور الحق في مرآته أكمل ظهور وأعدله وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته صلى الله عليه وسلم تكون قد أدركت منه كمالاً لم تدركه في غير مرآته صلى الله عليه وسلم. الا ترى في باب الإيمان بما جاء من به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع بما تحيله العقول، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي. فكما أعطانا بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى، كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا عند المشاهدة عن إدراك ما تجلى في مرآته صلى الله عليه وسلم أن تدركه في مرآتها وكما آمنت به في الرسالة غيباً شهدته عند التجلي عيناً... فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآته صلى الله عليه وسلم... فالزم الاقتداء به والاتباع له صلى الله عليه وسلم ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك صلى الله عليه وسلم فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العليا والشهود الكامل في المكانة الزلفى"** (جواهر البحار في فضائل النبي المختار الجزء الرابع ص 313).

**وقال الشيخ أبو الفيض الكتاني: "توضأ بشهود الجمال المحمدي محراب الذات وعرش التجليات ومظهر الأسماء والصفات الذي هو كالماء لتتوصل منه إلى الجمال الأحدي الواسعي الإحاطي المعبر عنه بالغيب وذلك لأنه لم يظهر بكل كمالاته إلا فيه ولم يطق أحد ظهور أحديته إلا هو المعبر عنها بالأمانة بل هو المرآة لظهور الذات فلا تظهر الا فيه بكل كلها ويقصد بالتيمم شهود ظاهر بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وطلعة حسن صور**

**جسمانيته والاجتماع بمحيا طلعة هيكله وعدم رفع الهمة لما ذكر".** (ديوان الكتاني ص212 الملاحظة 2).

**وكخلاصة لما ورد في هذا الباب، قال الشيخ أحمد التيجاني: "أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم نسل أرواح العالم من روحه صلى الله عليه وسلم، والروح ههنا هي الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجسام، وخلق من روحه صلى الله عليه وسلم الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم، وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية فإنما خلقت من النسبة الثانية من روحه صلى الله عليه وسلم، فإن لروحه صلى الله عليه وسلم نسبتين أفاضها على الوجود كله، فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها، والنسبة الثانية من نسب روحه صلى الله عليه وسلم نسبة الظلام، ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها كما أن الجنة وجميع درجاتها خلقت من النسبة النورانية. فهذه نسبة العالم كله إلى روحه صلى الله عليه وسلم أما حقيقته المحمدية صلى الله عليه وسلم فهي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب، وليس عند الله من خلقه موجود قبلها...[وهي] في هذه المرتبة لا تعرف ولا تدرك ولا مطمع لأحد في نيلها في هذا الميدان، ثم استترت بألباس من الأنوار الإلهية واحتجبت بها عن الوجود فهي في هذا الميدان تسمى روحاً بعد احتجابها بالألباس، وهذا غاية إدراك النبيين والمرسلين والأقطاب، يصلون إلى هذا المحل ويقفون، ثم استتر بألباس من أنوار إلهية اخرى وبها سميت عقلاً، ثم استترت باللباس من أنوار إلهية أخرى فسميت بسببها نفساً ومن بعد هذا ظهر جسده الشريف صلى الله عليه وسلم، فالأولياء مختلفون**

**في الإدراك لهذه المراتب؛ فطائفةٌ غاية إدراكهم نفسه صلى الله عليه وسلم ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم قلبه صلى الله عليه وسلم ولهم في ذلك علوم وأسرار أخرى، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم عقله صلى الله عليه وسلم ولهم بحسب ذلك علوم واسرار ومعارف أخرى، وطائفة وهم الأعلون بلغوا الغاية القصوى في الإدراك، فأدركوا مقام روحه صلى الله عليه وسلم وهو غاية ما يدرك، ولا مطمع لأحد في درك الحقيقة في ماهيتها التي خلقت فيها... ومعنى قوال الشيخ [عبد السلام بن مشيش] في صلاته: "اللهم ألحقني بنسبه" معناه هو كونه خليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ متصفاً بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنه عينه، فهذا هو نسبه من الحضرة الإلهية... قوله: "وحققني بحسبه" يعني إذا ألحقتني بذلك النسب حققني بحسبه، والحسب هنا هو الشرف يعني شرفني بشرفه، والمراد بهذا الشرف ما تهبه له في هذه الحضرة من الأخلاق الإلهية والأحوال العلية والنسمات الزكية التي من تحقق بها صار سيد العالم بأسره، فهذا هو الحسب الذي طلبه رضي الله عنه. قوله: "وعرفني إياه" طلباً إلى الوصول إلى معرفة روحه صلى الله عليه وسلم فهذا غاية ما يدرك"**
(جواهر المعاني للشيخ علي حرازم ص 333- 335).

## 9- مراحل الولاية المحمدية الخاصة بالولي الكامل المسمى بالإنسان الكامل والوارث المحمدي وبالقطب الفرد الجامع وبغيره من الأسماء

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي موضحاً ذلك في كتابه شرح مشكلات الفتوحات المكية: "هي (أي مراحل الولاية المحمدية) سبعة أطوارٍ لا بد لكلِّ كاملٍ أن يقطع تلك المنازل حتى يبلغ درجة التحقيق: الطور الأول: التوحيد الصرف، لا بد للولي أن يقطع مسافة الفرق حتى يحصل في حقيقة الجمع، فلا يشهد ولا يسمع ولا يعلم شيئاً سوى الله تعالى، وهو ما دام فانياً لا يسافر من هذا المنزل. فإذا بقي بالله سافر إلى الطور الثاني فيحصل في حقيقة جمع الجمع، وفي هذا المشهد يفنى من كان باقياً في الطور الأول ويبقى من كان فانياً فيتحقق حينئذٍ بالوحدة المحضة... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور الثالث وهو طور السذاجة المحضة الذاتية الصرفة، فيقبل بحقيقته وهيئته التصور بكل صورة من صور التجليات ومعنى من معاني الأسماء والصفات وبكل هيئةٍ وحالةٍ وشكلٍ وحكمٍ من سائر الموجودات فيكون عين كل شيء على ما هو عليه ذلك الشيء... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور الرابع فيُعطى مفاتيح الغيب وهي الأسماء التي أظهرت صور الكائنات من الغيب إلى الشهادة، فهي مفاتيح لأقفال خزائن الغيوب وهي أسماء الأفعال التي كانت المؤثرة في ظهور عالم الغيب إلى عالم الشهادة... وفي هذا الطور يسبح في فلك الأسماء والصفات، كل اسم

وصفة على حدته، حتى يعلم مقتضياتها على ما هي عليه في محلها. ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور الخامس فيعطى مفاتيح غيب الغيب وهي أمهات الأسماء وأئمة الصفات، فيصرفها بالذات ويتحقق بها صورةً ومعنىً في جميع الأوقات... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور السادس فيستكمل التحقق بالأسماء الذاتية والنعوت الصفاتية والأوصاف الفعلية ويتعين في الظهور بها جملةً وتفصيلاً وفي هذا المنزل يتدرع بالهيبة ويتوج بالعظمة... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور السابع... وعندها يطلع الفجر وتظهر شمس الكمال من سائر أعضائه الجسمانية على حسب ما كان لروحه وقلبه فيكون جسمه روحاً وقلبه عقلاً بالعين والحكم والوجود جملةً وتفصيلاً... وما بعد هذا المنزل إلا العجز والحيرة في التجليات التي لا نهاية لها، وهذا العجز عين الكمال والقدرة، وهذه الحيرة عين الثبوت. ونهاية ما يعبر به عن هذه الحيرة وهذا العجز بأن يقال إنه يجد كمالاته الإلهية التي هي له على ما هي عليه من عدم النهاية التي يعجز العلم عن الإحاطة بها من حيث أنها لا نهاية لها. فبالنظر إلى هذا العجز قال عليه الصلاة والسلام: "لا أحصي ثناءً عليك" وبالنظر إلى ما هو من كمال الصفة العلمية له تعالى قال: "أنت كما أثنيت على نفسك" ( ص 97-99).

ونحن هنا نفصل المراحل والمراتب المختلفة التي يمر فيها السالك في طريقه للتحقق بمقام الكمال أو الولاية المحمدية والتي أجملها الجيلي في النص السابق.

أ- في أن الشريعة والطريقة التي أرسل بهما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هما السبيل الوحيد لتحقق الإنسان الولاية المحمدية

الكاملة على الكمال لكونهما مطابقان لمقتضيات نشأته وكماله كما هو في علم الله تعالى:

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه "الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر في الخلوة من الأنوار": "فالحق سبحانه لما نزل من أوج إطلاقه إلى حضيض التقيد متعيناً بحقائق السلسلة [أي سلسلة مراتب الوجود] لابساً لصورها صورةً فوق صورة حتى بلغ إلى غاية التنزل التي هي حقيقة الإنسان، انحجب بنفسه من حيث التقيد عن نفسه من حيث الإطلاق فاشتاق إلى نفسه وأراد رفع الحجب عن حضرة قدسه حتى يتحد المطلق بالمقيد كما كان أول مرة، فأوحى إلى نفسه من حيث تقيده بكيفية رفع الحجب، فأول ما أمر نفسه هو التوحيد الصرف لأنه البداية في التنزل فلا بد أن يكون هو البداية في الترقي لأن البداية في التنزل نهاية الترقي والنهاية والبداية واحد. ثم امر نفسه بأنواع من الأعمال والأقوال الواقعة على طبق تنزلاته ونشآته في كل مرتبة وأمر نفسه بالترقي فيها، فكل عمل أو قول ارتقى إليه فقد ارتقى إلى ما يطابقه من نشأته وهكذا إلى أن يصل إلى آخرها في الترقي وأولها في التنزل وهو العقل الأول، وكل نشأة يرتقي عنها تنقص من نشأته الجامعة حتى ينعدم بالكلية، فحينئذ يبقى من لم يزل ويفنى ما لم يكن.... ومن علم ما نبهنا عليه علم أن التكاليف الشرعية مطابقة لحقيقة الإنسان مطابقة النعل بالنعل، وعلم أن من يدعي العلم بالحقائق ولا يقول بالتكاليف الشرعية على الوجه المفهوم من ظاهرها ويؤول ذلك ويصرفه إلى أمور باطنة من أجهل الخلق بالحق وبنفسه ومن رقي في الأقوال والأعمال والاعتقادات الشرعية حتى وصل إلى الحق سبحانه فقد جاء من الطريق التي جاء منها... فمن أراد العروج إلى الجناب الأقدس ولم يرق في المعراج

الذي وضعته الرسل فقد ضل سواء السبيل، فلا يصل أحد إلى الله إلا من الطريق الذي شرعه بواسطة الرسل صلوات الله عليهم." (ص 41-43).

وقال أيضاً في كتاب الإنسان الكامل في باب القدم: "وما أتت ألسنة الشرائع إلاَّ مصرَّحة بانفراد الحق بما هو له، وهذا التشريع هو على ما هو الأمر عليه، لا كما يزعمه من ليس له معرفة بحقيقة الحقائق، فإنه يلوح له شيء ويعزب عنه أشياء، فيقول: إن التشريع إنما هو القشر الظاهر، ولم يعلم أنه جامع للبّ الأمر وقشره، فقد أدّى الأمانة (ص) ونصح الأمة، ولم يترك هدى إلاَّ نبّه عليه، ولا معرفة إلاَّ هدى إليها، فنعم الأمين الكامل ونعم العالم بالله العامل".

وقال الشيخ صدر الدين القونوي في "إعجاز البيان": "إن أهل الكشف المحقق والشهود يعظمون الأشياء ويرونها شعائر الحق ومظاهره وصور أسمائه... ومن تحقق بميراث المصطفى صلى الله عليه وسلم وذاق سر التنزل القرآني من أم الكتاب الأكبر بالذوق الاختصاصي عرف أسرار الكتاب العزيز ورأى أن فيه التحقق التام... فإنه من قام بحقوق الشريعة المحمدية القيام التام واستعمله الحق في وفاء آدابها ورعاية ما جائت به على ما ينبغي، جلَّى له الحق ما استبطنه من الأسرار في جميع الشرائع المتقدمة، وتحقق بها وبسر أمر الله فيها فحكم بها، وظهر بأي حالة ووصف شاء من أوصافها مع عدم خروجه من حكم الشريعة المحمدية المستوعبة المحيطة. فإن ارتقى من آدابه وآداب شريعته [صلى الله عليه وسلم] الظاهرة إلى آدابه وآدابها الباطنة والتحم بروحانيته والتحق بالصفوة من عترته والكمل من إخوانه استطعم ما استطعموا وحكم في الأشياء وبها بما به حكموا". (ص 344-348).

**ب-فـي كيفيـة سـير الإنسـان إلـى الولايـة الكاملـة الذاتيـة المحمدية:**

**1- الفناء في الله المعبر عنه بمقام الجمع وهو آخر مقامات السير إلى الله تعالى:**

**شرح الشيخ سعيد الدين الفرغاني بيت الشيخ عمر بن الفارض الذي يقول فيه:**

**فلم تهوني ما لم تكن في فانياً ولم تفن ما لا تجتلى فيك صورتي**

**بقوله: "حقيقة الحب ومقتضاه أن يوصل المحب إلى المحبوب ويوحد كثرتهما. والتوحد مع تحقق ما به الممايزة والمباينة لا يجتمعان فمهما كان أثر الامتياز ثابتاً فيك لا تكون حقيقة الحب ومقتضاه ظاهراً بك ومضافاً إليك، وجميع أوصافك وحظوظك وميولك وآمالك وأمانيك بل تعينك وإضافة الوجود إليك عين ما به الإمتياز فلا تظهر حقيقة الحب بك وفيك إلا بفناء هذه العين واستهلاك هذا الحكم... فالفناء هو استهلاك العاشق في المعشوق وصفاً ثم أثراً ثم عيناً"** (منتهى المدارك الجزء الأول ص 197).

**وقال الشيخ أحمد بن عجيبة في "إيقاظ الهمم": "والمقامات التي يقطعها [السالك إلى الله تعالى] ثلاث: فناء في الأفعال وفناء في الصفات وفناء في الذات أو تقول فناء في الإسم وفناء في الذات وفناء في الفناء وهو مقام البقاء ثم الترقي ما لا نهاية له. فإذا كشف للسالك عن سر توحيد الأفعال وذاق حلاوته وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء في الصفات الذي تطلب أمامك وإذا ترقي إلى مقام الفناء في الصفات وكشف له عن سر توحيد الصفات وأستشرف على الفناء في الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء في الذات**

**الذي تطلب أمامك وإذا ترقي إلى الفناء في الذات وكشف له عن سر توحيد الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة فناء الفناء أو حقيقة البقاء الذي تطلب أمامك وإذا وصل إلى البقاء نادته هواتف العلوم الغيبية وقل رب زدني علماً وقد قال عليه السلام لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك".**

**قال الشيخ أبو الفيض الكتاني في بيان معنى الفناء في الأفعال: "وإنما سلكوا [أهل الله الصوفية علماء الإحسان] رتب الفناء، خصوصاً بساط الفناء في الأفعال فشهدوا أن لا فاعل في الوجود، على كثرته، إلا الحق وحده، فهو المثبت لهم الفعل المسلوب عنهم: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}... وإنما يروا هذه المظاهر الكونية مظاهر لصدور الأعمال منها لا غير، فهم بمثابة القلم وأنامل القدرة تفعل فيهم بما شاءت، وليسوا بجبرية ولا ينسبون الجور ولا الظلم للحق وإنما يشهدون الأفعال صادرة من عين القدرة، بل من عين الوحدة لأن الذات في الحقيقة هي الفاعلة"** (البحر المسجور ص 104-105).

**وقال الشيخ إبن عجيبة في كتاب "كشف النقاب عن سر لب الألباب" شارحاً معنى الفناء في الصفات: "اعلم أن هذا الهيكل الإنساني جعله الله تعالى أنموذجاً ربانياً تحاكي صفاته صفات الرحمن فيه قدرةً وإرادةً وسمعاً وبصراً وكلاماً... إلا أن هذه الصفات التي جعلها الله فيه حادثة ناقصة وصفات الله قديمة كاملة، وهي كامنة في الإنسان كمون الثمار في الأغصان، وكمون الزبد في اللبن، فاحتجبت صفات الحق القديمة بصفات العبد الحادثة... فلما احتجبت عنه صفات الحق بطلسم وجود صفات نفسه زعم أنه يقدر بقدرته ويريد بإرادته ويحيا بحياته ويسمع بسمعه ويبصر ببصره**

ويتكلم بكلامه وفي الحقيقة إنما صفاته قائمة بصفات الحق وشعاعٌ من شعاعها لا تأثير لها أصلاً، فإذا انكسر عنه هذا الطلسم الوهمي وارتفع له الحجاب عن توحيد الصفات تحقق ألا قدرة له ولا إرادة ولا علم ولا حياة إلا بقدرة الله وإرادته وكذا سائر صفاته فصار يتحرك بقدرة الله ويريد بإرادته ويسمع ويبصر بالله". (الجواهر العجيبة ص 180).

وقال أيضاً في نفس الكتاب معرفاً الفناء في الذات: "اعلم أن الحق جل جلاله كان كنزاً مخفيا لطيفاً أزليا لم يعرفه أحد، فلما أراد أن يعرف تجلى بتجليات من ذلك الكنز كثفها وأظهرها بمقتضى اسمه الظاهر ثم أبطنها بمقتضى اسمه الباطن. فصارت ظاهرة باطنة، أبطنها بما أظهر عليها من أحكام العبودية وأوصاف البشرية ونعوت الحدثية من حس التكوين والتشكيل والتغيير والتحييز، ولا حادث في الحقيقة إنما تجدد لها التجلي والظهور فبطنت بعد ظهورها فتحقق فيها اسمه الظاهر واسمه الباطن. فمن نظر لأصلها وغاب عن حسها لم ينحجب بها عن الحق تعالى ورآه ظاهراً فيها، ومن وقف مع حسها الظاهر حجب بها عن شهود الحق وصارت في حقه ظلمة... فيغيب عن نفسه بشهود محبوبه وعن الكون بشهود المكون، وينال مقام المحبوبية كما ورد في بعض روايات الحديث: "فإذا أحببته كنته". فإذا انكسر هذا الطلسم وهو وجود العبد الوهمي ووقوفه مع أوصاف بشريته بالغيبة عنها ظهر له الكنز الذي كان خفياً وهو الذات الأقدس فيدخل مقام الإحسان وينال رتبة الشهود والعيان، وهي الولاية الكبرى والسعادة العظمى". (ص180-181).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي عن الفناء في الذات قي كتابه الإنسان الكامل: " أن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية وكشف

**له عنه، علم أن ذات الله تعالى هي عين ذاته، فقد أدرك الذات وعلمها، وقال (ص): «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»... واعلم أن إدراك الذات العلية هو أن تعلم بطريق الكشف الإلهي أنك إياه وهو إياك، وأن لا اتحاد ولا حلول، وأن العبد عبد والرب ربّ، ولا يصير العبد ربّاً ولا الربّ عبداً، فإذا عرفت هذا القدر بطريق الذوق والكشف الإلهي الذي هو فوق العلم والعيان ولا يكون ذلك إلاّ بعد السحق والمحق الذاتي، وعلامة هذا الكشف أن يفنى أولاً عن نفسه بظهور ربّه، ثم يفنى ثانياً عن ربّه بظهور سرّ الربوبية، ثم يفنى ثالثاً عن متعلقات صفاته بمتحققات ذاته، فإذا حصل لك هذا حينئذ فقد أدركت الذات ليس على هذا في نفس إدراكك الذات زيادة"** (الباب الثالث: في الصفة مطلقاً).

**وقال في وصف الذاتيين من أهل الله في كتابه نسيم السحر: "هذه الطائفة هم أهل الذات، وهم الصفوة الذاتيون إذ غرقوا في بحر الذات فاطمسوا وهلكوا فيها واندرسوا، ماتوا ميتةً أبدية وعاشوا عيشة أزلية فلا يرجون فلا يرجون بعدها موتاً ولا حشراً ولا بعثاً ولا نشراً، بل لا يخطر بهم شيء غيرهم فكل منهم عينهم، لأنه هو الذات الساذجة الصرفة المطلقة المتحققة التي يعبر عنها بالوجود الكلي والوجوب الحقيقي"** (ص91-92).

**ويسمى الفناء في الذات أيضاً بالجمع وقد عرفه القاشاني بقوله: "إذا تجلى الله سبحانه بذاته لأحد، يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها وهي أعضاؤها ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، وليس للإنسان وراء هذه المرتبة مقام في التوحيد... ولما انجذبت بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر**

نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق، وتسمى هذه الحالة جمعاً... ولصاحب الجمع أن يضيف إلى نفسه كل أثر ظهر في الوجود وكل صفة وفعل واسم لانحصار الكل عنده في ذات واحدة".

وكخلاصة لما ذكرناه، قال الشيخ محمد وفا معرفاً الفناء: "الفناء اضمحلال كل مفترق متوهم لا ينتهي إلى غاية، وحقيقته صدق العدم الذاتي على كل موجود" وقال أيضاً في تعريف مقام الجمع: "الجمع نفي المعية وسقوط الفرق بالكلية وحقيقته اتحاد مراتب العالم في واحد يتعين مع وجود ما اتحد فيه به وغايته رؤية الأبد بعين الأزل".

2- البقاء بالله ويسمى أيضاً بمقام جمع الجمع والفرق النوراني وهو بداية السير في الله تعالى:

قال الشيخ إبن عجيبة في كتاب إيقاظ الهمم موضحاً كيف يسلك العارف الولي من مقام الفناء إلى البقاء وشارحاً الفرق بينهما: " وقد تكلم الشيخ أبو الحسن [الشاذلي] على حال السالكين والواصلين بكلام طويل ذكره في لطائف المنن ونقله الشطيي فقال: إن لله عباداً محق افعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أوصافه ما يعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مغرقون في بحر الذات وتيار الصفات فنوا عن أفعالهم ثم فنوا عن صفاتهم ثم فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى ولم يبق لهم منهم شئ ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه ومن صح فناؤه صح بقاؤه، ثم قال: واعلم أن الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله قلت: وهو مقام السالكين والبقاء يوجب إيجاد كل شيء مع الله يعني بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله وهما ولايتان فولي يتولى الله ورسوله والذين

آمنوا وولي يتولاه الله وهو يتولى الصالحين. قال الشيخ أبو الحسن: وعلامة الولاية الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والفرار إلى الله عند الشدائد والرجوع إليه عند النوائب فمن أعطى هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين ومن أعطيتها من خزائن المنن والمواددة فقد تمت ولاية الله له فالولاية الأولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى. قيل له: كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا؟ قال: يتولى الله بالمجاهدة لقوله تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا} ويتولى الرسول بالمتابعة {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} {من يطع الرسول فقد أطاع الله} ويتولى المؤمنين بالاقتداء بهم وهي علامات من خاض بحر الولاية وأما الذين تولاهم الله فهم الذين صلحوا لحضرته وغابوا عن خليقته فلا يرون في الوجود إلا الله، الأولى تسمى ولاية إيمان وهذه ولاية إيقان. فقيل له: وما الفرق بين الإيمان والإيقان؟ قال: كل يقين إيمان وليس كل إيمان إيقاناً فالإيمان ربما تدخله الغفلة والإيقان لا تدخله الغفلة المؤمن يتجلى له الحق دون كل شئ والموقن يتجلى له الحق في كل شيء، المؤمن فان عن كل شيء فلم يشهد مع الله شيئاً والموقن باق في كل شئ فهو يشهد الله في كل شيء".

وقال الشيخ أحمد العلاوي في كتابه "المواد الغيثية" موضحاً نفس المعنى: "فلسان المعرفة التي هي غاية العبد من ربه يدعوك أيها المريد إلى الفناء والمحو عنك وعن كل نسبة تلازمك حتى يبقى فيك ولا بك ولا منك أثر لأن المعرفة التي لم تمح أثر العبد ورسومه ليست بمعرفة. فلهذا كان لسانها يدعوك لذلك كما يدعوك إلى الثبات بعد المحو لأن الإثبات يكون بالله لا بنفس العبد. فلسان الذات يدعو إلى المحو ولسان الصفات يدعو

إلى الثبات والعارف بين ما ذكر. والحس لا تجتمع فيه الأضداد بخلاف المعنى فهو صالح لكل متناقض... فيصير العارف في هذا الحال مفقوداً في صورة موجود لأنه تلاشى وزال زوالاً كلياً حتى إذ صح منه ذلك تولاه الله بنفسه...والشريعة لها حدود والحيقة لها شهود خارج عن طرق الوجود، والعارف هو الذي لا يخرج عن حد ولا يخلو من وجد. وقد قال الشريف وما أحسن قوله: "ذو العقل هو الي يرى الخلق ظاهراً ويرى الحق باطناً، فيكون الحق عنده مرآة الخلق لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة، وذو العين هو الذي يرى الحق ظاهراً والخلق باطناً فيكون الخلق عنده مرآة الحق لظهور الحق عنده واختفاء اخلق فيه اختفاء المرآة في الصورة، وذو العقل والعين هو الذي يرى الحق في الخلق وهو قرب النوافل فيرى الخلق في الحق وهو قرب الفرائض، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر بل يرى الوجود الواحد بعينه حقاً من وجه وخلقاً من وجه فلا يحتجب عن شهود الوجه الواحد"... ومن الغريب ما يطلبه لسان المعرفة من المحو والإثبات في آن واحد لما هناك من رائحة التناقض، ولولا لطف الله ما استقام سير العارفين لما يطرأ عليهم من وجود المحو والذهاب الكلي حتى لمن يبق منهم أثر البتة ومع هذا لم يخرجوا عما طلب منهم من القيام بحقوق الله عز وجل، فترى الواحد منهم ينبئك حاله أنه لا يطيق أدنى امتثال مع أنه جامع بين الأحوال والأعمال" (ص204-206).

وقال الشيخ شمس الدين اللاهيجي مبيناً معنى مقام البقاء في كتابه "مفاتيح الإعجاز": "بما أن العارف الواصل الكامل في مقام البقاء بالله يرى أن لذاته السريان في جميع ذرات الكائنات وأن كل الأشياء قائمة به وهو الواحد الكثير والفرد الجامع، قال [الشيخ محمود الشبستري]:

أنت هذا الجمع الذي هو عين الوحدة

أنت هذا الواحد الذي هو عين الكثرة

"بما أن الإنسان، بحسب الحقيقة، هو مظهر ومرآة الذات وجميع الأسماء والصفات وهو الذي له العروج والنزول والظهور والبروز في جميع المراتب قال: انت هذا الجمع الذي هو عين الوحدة يعني أنت أيها الإنسان، بحسب هيأة اجتماع الصورة والمعنى والقوى الجسمانية والروحانية فيك هذا الجمع، وبواسطة الترقي والوصول إلى مقام الأحدية والفناء في الله صرت عين الوحدة فترى الكل إياك... وأنت أيها الإنسان هذا الواحد الذي، بعد التحقق ببقاء الله تنزلت من مقام الأحدية في مراتب الأسماء والصفات فصرت عين الكثرة فظهرت بصورة جميع الأشياء. وهذه مرتبة السير بالله عن الله فصرت ظاهراً بصورة الألوهية فأنت الجميع في عين الوحدة والواحد في عين الكثرة وفي سيرك إلى الله وصلت إلى مقام الوحدة وفي السير بالله عن الله وصلت إلى منزل الكثرة فالدائرة الوجودية اكتملت بعروجك ونزولك واتحد قوسا الوجوب والإمكان".

ثم تمم الشيخ اللاهيجي بقوله: "[ومن ينكشف له هذا السر] أي أن الإنسان الكامل هو الجميع في عين الوحدة والواحد في عين الكثرة ينتقل من نفسه الموجبة لتقيداته ومن جزئيته التي هي تعينه وتشخصه إلى الكلي، أي إلى الحقيقة الواحدة المطلقة التي ظهرت بصورة جميع الكثرات والتعينات... فتتحرر نفسه من قيد الجزئية ويتحقق بالبقاء بعد الفناء وشاهد نفسه في جميع النشآت والتطورات والظهورات".

وقال الشيخ أبو الفيض الكتاني في كتابه الديوانة بعد أن بين تحقق الولي المحمدي بالفناء والجمع: "وبعد وصوله إلى هذا المشهد إنما يرجع

لإثبات الحكمة وعدم الوقوف مجرداً، لأن المقصود من الخروج لهذه الدار إنما هو لإثبات الحكمة وعدم إبطالها... ورجوعه لهذا المشهد يعبر عنه بالفرق الثاني وبالرجوع من اللاهوت للناسوت واللاهوت، وبالبقاء وبالصحو وبالتمكين... [فيجمع بين] القيام بمقتضيات الحضرة والعكوف على شؤون الخدمة لا يشغله حق عن خلق ولا خلق عن حق لأنه على لون مشهوده الإنساني العبدي المحمدي الحقاني الذي هو على لون مشهوده لارتسام قوة الوجود المطلق الوسيعة المنزهة عن القيد والتقييد عليه [فهو] دائم العكوف في محراب جمع الجمع العيني الأحدي الصرفي لا انسدال ولا غيبوبة [ولذلك فهو] كامل الروحية كامل البشرية والملكية فيعطي البشرية حقها من جميع ما تقتضيه" (ص63-65).

وكخلاصة لما ذكرناه، قال الشيخ روزبهان البقلي في كتابه مشرب الأرواح معرفاً مقام البقاء: "لو نظر الناظر إلى وجود الكون وتعلقه بالعلم والقدرة بحيث لا معرفة ولا نكرة فيها للعارف يرى بقاء الوجود مع وجود الحق أبداً، وكيف لا يبقى وليس لبقائه مكان من حيث الحق سبحانه وهو سبب بقائه، وكيف تفنى القدرة القديمة وهو مستحيل؟... والعارف مشاهد الذات بعد الإتصاف بالصفات، فيبقى مع الحق أبداً لحقيقة إتصافه واتحاده، فكلما يكاد يفنى في الذات تأخذه الصفات عن الفناء وإذا كاد يفنى في الصفات تأخذه انوار الذات عن الفناء في الصفات فيبقى بالحق في الحق مغ الحق أبداً... قال العارف قدس الله روحه: البقاء شهود مشاهدة جمال الحق مع الصحو على نعت السرمدية" (ص 208).

وقال أيضاً في نفس الكتاب معرفاً مقام الكمال: "إذا استقام [السالك] في العبودية واتصف بالربوبية ولا يمزج بحر الربوبية ببحر العبودية ويصير بين

البحرين حاجزاً لا يتجاوز عن مقام العبودية في المحبة ولا ينحط عن مقام الربوبية في المعرفة يكون في حد الكمال، قال العارف قدس الله روحه: "الكمال مشاهدة الربوبية في العبودية" (الصفحة 227).

**3- إحصاء الأسماء الإلهية تعلقاً وتخلقاً وتحققاً:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة" [رواه البخاري برقم 2585]، وقد فسر القاشاني هذا الحديث الشريف في شرحه لمصطلح إحصاء الأسماء في كتابه لطائف الأعلام بقوله: "وقد اختلفت أقاويل أهل العلم في معنى الإحصاء المفهوم من قوله (ص)، فقيل: معنى أحصاها: علم معانيها، وقيل معناه: من اعتقد أنه تعالى تسمى بها. وقيل: معناه من جمع إلى اعتقاد ذلك العمل بما علمه منها مثل أنه إذا سمع أن من أسمائه الرزاق مثلاً أيقن بذلك أن رزقه ليس على أحد غير ربه فاطمأنت نفسه إليه سبحانه في إيصاله رزقه إليه، فعلم أن الحق سبحانه هو الذي يوصل إليه الرزق الروحاني الذي هو الإيمان والهداية بمراتبها التي هي العلم وما يتفرعان إليه، وذلك كالتوبة، والزهد، والإنابة، والتوكل، والعفو، والحلم، والإيثار وغير ذلك. وأنه تعالى هو الذي يوصل إليه الرزق النفساني كالحياة والسؤدد والحشمة، والرفعة في النشأتين، وقبول القلوب، ونحو ذلك. وأنه تعالى هو الموصل إليه رزقه الجسماني من المطعم الشهي، والملبس البهي، والمنكح المرضي، والأموال والخزائن، والذخائر، وطيبة العيش وأمثال ذلك. وهكذا فيما سوى ذلك من الأسماء، وذلك بأنه إذا اعتقد العبد كونه تعالى قد تَسمى بالضار والنافع جزم بأنه لا خير، ولا شر، ولا نفع، ولا ضر، ولا طاعة، ولا معصية، ولا إيمان، ولا كفر، إلا عن قدرته وإرادته، لدخول جميع ذلك وأمثاله تحت النفع والضر.

فمن تحقق بذلك لم يلجأ إلا إلى الله تعالى، ولم يعول في شيء من الأمور إلا عليه تعالى، وهذا هو الرأي الذي يُعتمد عليه عند علماء الحقيقة، الذين هم شيوخ الطريقة في معنى الإحصاء المذكور في الحديث، فإذا عرفت هذا فاعلم أنهم قد قسموا الإحصاء بهذا المعنى إلى ثلاثة أقسام: تعلق، وتحقق، وتخلق.

وإن الذي يحصي الأسماء الإلهية بإحدى هذه الأقسام الثلاثة يدخل الجنة، كما أخبر (ص).

فأما إحصاؤها تعلُّقاً فذلك بأن يطلب الإنسان آثار كل واحد منها في نفسه وبدنه، وجميع قواه وأعضائه، وأجزائه في مجامع حالاته وهيآته النفسانية، والجسمانية، والروحانية. وفي جملة تطوراته وتنوعات ظهوراته نوماً ويقظة، وقياماً وقعوداً، وطاعة ومعصية، وقبضاً وبسطاً، وصحة وسقماً، ورضى وغضباً، ولذة وألماً، وراحة وتعباً، وشدة وليناً، وسعة وضيقاً، وغنىً وفقراً. ونحو ذلك من الأمور التي تفهم منها ما أردنا، بحيث يرى أن جميع ذلك كله، وغيره إنما هو من أحكام أسماء الإله تعالى، فيضيف كل ما يظهر فيه ومنه إليها وإلى آثارها على الوجه اللائق، والطريق الموافق لما يقتضيه أدب أهل المعرفة، ثم يقابل كل واحد منها بما يليق من شكر، أو صبر، أو ملق، أو عذر، أو استعاذة، أو خضوع، أو استحياء، أو تذلل، أو التجاء، أو استكانة، أو انكسار، أو ندامة، أو استغفار، أو استعانة، أو استمداد، ونحو ذلك من أوصاف العبودية، وأداء موجب حقوق الربوبية.

فمثل هذا الإحصاء والعد، وأداء الحق الواجب بقدر الوسع والجهد هو الذي به يستحق العبد من ربه إدخاله جنة الأعمال (وهي كما عرفها القاشاني: " هي التي يجزى فيها العبد على مجاهداته، وعباداته. وبالجملة

على المُرضِي من أعماله جزاء وفاقاً، كما وعد على كل عمل منها وحَدَّ له من الأجر فيها" أي جنة مقام الإسلام التي يستحقها العامل بالشريعة).

وأما إحصاؤها تخلُّقاً فذلك بتطلع الروح الروحانية إلى حقائق هذه الأسماء، ومعانيها، وصفاتها، والتخلق، والاتصاف بحقيقة كل واحد منها على وفق الأمر الوارد في قوله (ص): «تخلَّقوا بأخلاق الله».

فيدخل بهذا العد والإحصاء المترتب عليه هذا التخلق والاتصاف في جنة الميراث (وقد عرفها الشيخ القاشاني بقوله: " هي ما يجزى به العبد على الإتيان لمن أمره باتباعه من المرسلين من الله تعالى إليه، وأعلاها منزلة لمن تحقق بالوراثة لأخلاق من أرسل إليه من الأنبياء عليهم السلام وتلك منزلة العلماء الربانيين المشار إليهم بأنهم الورثة في قوله (ص): «العلماء ورثة الأنبياء»" أي جنة مقام الإيمان التي يدخلها العاملون بالشريعة والمتصفون بأخلاق الطريقة الربانية والآداب النبوية).

وأما إحصاؤها تحققاً فذلك إنما يتحقق به من تحقق بالتقوى ، والانخلاع عن كل ما قام به وظهر فيه من الصور والمعاني والآثار المتسمة بسمة الحدوث والاستتار بسبحات أعيانها وأسرارها وأنوارها فيدخل عند ذلك جنة الامتنان" (وقد عرفها الشيخ القاشاني بقوله: " هي ما يناله أهل الإيمان من عين الجود والامتنان موهبة من الله تعالى من غير عمل من عبده، بل بفضل من عنده. وهذا مقام من تحقق بالانخلاع عن أحكام الغيرية، والأغيار فاستتر بأعيان سبحات نور الأنوار " أي جنة أهل مقام الإحسان وهم الكمل من الأولياء).

وقد أكثر أهل الله من كتابة المؤلفات الدالة للمريد السالك على كيفية إحصاء الأسماء تعلقاً وتخلقاً وتحققاً، ولكن لما كان الاسم الأعظم (الله)

جامعاً لكل الأسماء والصفات نذكر هنا ما قاله الشيخ أحمد بن عجيبة في تفسير الفاتحة الكبير من كيفية التعلق والتخلق والتحقق بهذا الاسم الأعظم ليكون خلاصةً لما يعنيه أهل الله بإحصاء الأسماء الإلهية، قال الشيخ أحمد بن عجيبة: "وأما مذهب أهل التحقيق فهو أن [الاسم الأعظم الله] يصلح للتعلق والتخلق. والتخلق به هو الفناء فيه والاستهلاك في الحقيقة بحيث يفنى ما لم يكن ويبقى من لم يزل.

"أو نقول: التخلق به هو إغراق وصف العبودية في عظمة الربوبية بحيث يغطي نعتك بنعته، ووصفك به، فينطوي وجودك في وجوده، وشهودك في شهوده... وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: إن لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله، وصفاتهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، وحملهم من الأسرار ما تعجز الأولياء عن حمله" انتهى.

"وقال شيخ شيوخنا ومادة طريقتنا مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ونفعنا ببركاته لما تكلم عن المحبة قال: "والمحبة: مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعت بالنعوت، والأفعال بالأفعال" انتهى.

"قلت: وهذا هو الفناء الذي هو تبديل أوصاف العبودية بأنوار الربوبية ونعوت الحدوث بنعت القدم... فتحصل أن التخلق باسم الجلالة هو الفناء فيه والغيبة عما سواه.

"قال الغزالي رضي الله عنه: ينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله، وأعني أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا السم أنه الموجود الحقيقي الحق ، وكل ما سواه هالك وفان

وباطل إلا به؟ فيرى نفسه هالكاً وباطلاً كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

"وقال بعض من شرح الأسماء: وأما التخلق بهذا الاسم: فاتصاف بكل وصق كمال بقدر ما يمكن في طور العبد، وبحسب استعداد الخاصة مثل الأنبياء والمجذوبين والمحبوبين من الأولياء، وقد يكون بالمجاهدات البالغة، والرياضة الشاقة، وتهذيب الأخلاق، وتبديل الأوصاف، وقد يكون بنتائج التجليات، وثمرات المجاهدات. وأما التحقق بهذا الاسم فهو: أن تطلع شمسه من مشرق قلبه، وتنوِّر من العبد ساريا في كليته وسرائره، شاملاً لظواهره وضمائره، فيفنى اسمه ورسمه، ويلطف قلبه وروحه بل جسمه، فيبدل الحدوث بالقدم، والظلمات بالأنوار، ويوضه عن ليل الحجاب نهار الإبهار، فيفنى ثم يبقى بوجود موجود حقاني، ويخفى ثم يبقى بوصف كريم رباني، ويكون الحق سمعه وبصره ويده، به يسمع وبه يبصر وبه يبطش، بل يكون بكليته ما لا يصفه الواصفون ولا يحيط به العارفون" (ص 110-112).

**4- معرفة النفس:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"، قال الشيخ أحمد العلاوي معلقاً على هذا الحديث: " ثم اعلم أن معرفة النفس هي اساس المعرفة بالله ابتداء وانتهاء، ففي حالة الابتداء تعرف بالنقائص فيعطيها مستحقها كما يعطي مستحق الألوهية من الكمالات، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"

وقد قال أيضا: "أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه" إذ كلما ازداد الإنسان معرفة بنفسه ازداد معرفة بربه لانطوائها على كل خير وغير، وقد قيل في هذا المعنى:

دائك فيك ولم تبصر ودوائك منك ولم تشعر

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

"حتى إذا طهرت النفس من المساوي واتصفت بالكمالات فلا ينبغي للعارف أن يكتفي من معرفة نفسه، بل لا زال يبحث عن باطن قوله عليه الصلاة والسلام: من عرف نفسه الخ الحديث إن هناك سرا خفيا، فلا يزال يبحث عن ذلك مستحضراً قرب الله عز وجل حتى يجده أقرب إليه من نفسه لأن النفس عملها كعمل الكافر { يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ }[سورة النور، الآية 39] ولو التفت إلى الخارج عن نفسه لضل عن السبيل واختلط النهار بالليل، ولكنهم وقفوا رضي الله عنهم عند أنفسهم وبحثوا عن قرب الله منهم فوجدوه عند فقدانهم.

"قال مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه لبعض تلامذته كان يريد معرفة الله: اطرح كتابك واحفر في أرض نفسك حتى يخرج لك الينبوع وإلا فاذهب عني" فعند ذلك حصل على ما يريد والعاقل لا يخفى عنه أن الله تبارك وتعالى أقرب إليه من نفسه وإذا كان كذلك فهل العرش يوجد فيه من القرب ما ليس في الإنسان؟ كلا، إنما هو أقرب إليه من حبل الوريد، فحاشا لله أن يكون متقربا بذاته لشيء أو متباعدا عن شيء، وإنما قربه لكل شيء ولا يخلو منه كل شيء، وإن كان كذلك فلم ترفع رأسك أيها السائر إلى الخارج، ألم تسمع قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} فارجع لذاتك واعتبر فإن لك فيها ما يغنيك. قلت لبعض المحبين:

دور في ذاتك وافهم صفاتك روحك دعاتك لك فيها سر عجيب
الخمرة العتيقة الخمرة الرقيقة نفس الحقيقة تبدو لك من القليب
منك وإنك تحظى بغينك إنها عينك لا شك فيها ولا ريب
ماذا يخفاك سر حواك فافهم معناك ما لك عنك من حجيب

"وقد قيل أيضا:

يا تائهاً في مهمه عن سره انظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة يا جامعاً سر الإله بإسره

"ولم يشعر أحد بنفسه:

يا طالب الحقيقة اسمع لي ما أقول
منك هي الطريقة ولك الوصول

"وقال الأستاذ سيدي محمد البوزيدي قدس سره لبعض تلامذته:

لقد حاط بك السر من كل جانب فلو كنت تدري كم عمتك المنافع
آنيتك كنز لأسرار ربك وشبحك محتوي زنته الودائع
ما في الوجود فيك من العرش والثرى وفيك ما قد مضى والذي مضارع
فروحك هي القصد في نفسك المنى والشكل هو الحجاب للسر جامع

"ترادفت إشارات القوم وكلها راجعة لمعرفة النفس تعضيدا لقوله عليه الصلاة والسلام: من عرف نفسه الخ.

"قلت: ما كثرت مساوي النفس إلا لكونها حاملة لأسرار الحق {ومن نعمره ننكسه في الخلق} وليس الشأن أن تترك نفسك أيها المريد وتعاديها إنما الشأن أن تصحبها وتنفرد بها لكي تخبرك عما احتوت عليه. (المواد الغيثية، الجزء الأول، ص 43).

وقال الشيخ إبن عجيبة في تفسير البحر المديد مفسراً قوله تعالى {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} [سورة الذاريات الآية 21]: "قال القشيري: يُشير إلى أن النفس مرآة جميع صفات الحق، لهذا قال عليه الصلاة والسلام: " مَن عرف نفسه فقد عرف ربه " فلا يعرف أحد نفسه إلا بعد كمالها، وكمالُها: أن تصير مرآةً كاملةً تامة مصقولة، قابلة لتجلِّي صفات الحق لها، فيعرف نسفه بالمرآتية، ويعرف ربه بالتجلِّي فيها، كما قال تعالى: { سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى الأَفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ... }[فصلت: 53] الآية. هـ.

"... فإنَّ مَن عرف حقيقة نفسه، وأنها مظهر من مظاهر الحق، وغاب عن حس وجوده الوهم، فقد عرف ربه وشَهِدَه، فاطلب المعرفة في نفسك، ولا تطلبها في غيرك، فليس الأمر عنك خارجاً، ولله در الشُشتري في بعض أزجاله، حيث قال:

وإلَيْك هو السّيْرُ * وأنْت مَعْنَى الخَيْر * وما دونَك غيْرُ"

وقال الشيخ الجيلي في كتابه حقيقة اليقين مبيناً مراتب معرفة النفس: "ومتى لم تعرف الحق وتشهده في الوجود كله، بل في سائر الموجودات، بل في كل معنى وصورة وحكم وروح وجسم إلى غير ذلك مما يعلم ويشهد لم تعرف نفسك، ومتى لم تعرف نفسك لم تعرف ربك، فمعرفتك للوجود أنه للحق تعالى كالصورة للمعنى أو كالجسم للروح شهدت المراد، فإنك إذا شهدت الحق الوجود مظهراً فالحق تعالى ظاهر فيه، ترتقي إلى شهود الحق

تعالى نفسه بنفسه في مظاهره، وبهذا الوجود ترتقي إلى وجوده فيك بك منك، وبهذا الوجود تعرف نفسك ... فتتجلى صفاتك في باطنك إلى ظاهرك، وبهذا التجلي تعرف ربك الذي هو عين (حقيقة) نفسك فتكون ممن عرف نفسه بأنه (مرآة) ربه فعرف ربه بأنه (حقيقة) نفسه، وبهذه المعرفة تعطي كل صفة من صفاتك... حقها حال كونك متحققا بسائر الأسماء الكمالية والصفات الجمالية والجلالية والمراتب الحقية والخلقية".

وقال الشيخ الأكبر في الرسالة الوجودية: "من عرف نفسه عرف أن وجوده ليس بوجوده ولا غير وجوده، بل وجوده وجود الله (من حيث قيومية الله تعالى على كل الأكوان ومنها النفس وجوده عليها بنعمتي الإيجاد والإمداد) بلا صيرورة وجوده وجود الله تعالى وبلا دخول وجوده في وجود الله سبحانه ولا خروج وجوده منه ولا كون وجوده معه وفيه، بل يرى وجوده -لا محالة- كان قبل أن يكون بلا فناء الوجود ولا فناء الفناء، فإن فناء الشيء يقتضي ثبوته أولاً وثبوت الشيء بنفسه يقتضي كينونته بنفسه لا بقدرة الله تعالى وهذا محال صريح واضح... فمن وصل إلى هذا المقام (من معرفة النفس تحقق أنه) لم يكن وجوده في الظاهر والباطن وجوده، بل وجود الله تعالى، وكلامه كلام الله، وفعله فعل الله، ودعواه معرفة الله هو دعواه معرفة نفسه، ودعواه معرفة نفسه هو دعواه معرفة الله، ولكنك تسمع الدعوى منه وترى الفعل منه وترى وجوده غير وجود الله كما ترى نفسك غير (مرآة) الله لجهلك بمعرفة نفسك" (الصفحة 42).

وقال الشيخ عين القضاة الهمذاني شارحا حكمة الشيخ طاهر العريان التي تقول: "من عرفه بمعرفة نفسه استقبله في طريق المعرفة به": "جعل معرفة النفس أول دليل حيث حكم باستقبال الله عز وجل من عرفه بها،

وعنى باستقبال الله في طريق معرفته إياه تقصير وتيسير طريق الوصول عليه، لأن من عرَّفه الله تعالى أن العارف عين المعروف وجد الله سبحانه وتعالى في نفسه فكأنما استقبله وقصر عليه الطريق".

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في قصيدته العينية:

وَلا تَكُ مَحجوباً بِرُؤيَةِ حُسنِه عَنِ الذاتِ أَنتَ الذاتُ أَنتَ المُجامِع

فَعَينَكَ شاهِدها بِمُحتَدِّ أَصلِها فَإِنَّ عَلَيها لِلجَمالِ لَوامِع

أَنِيَّتُكَ الاتي هِيَ القَصدُ وَالمُنى بِها الأَمرُ مَرموزٌ وَحُسنُكَ بارِعُ

وَنَفسُكَ تَحوي بِالحَقيقَةِ كُلَّ ما أَشَرتُ بِجِدِّ القَولِ ما أَنا خادِعُ

تَهَنَّ بِها وَاعرِف حَقيقَتَها فَما كعِرفانِها شَيءٌ لِذاتِكَ نافِع

قال الشيخ عبد الغني النابلسي شارحاً هذه الأبيات: "أي لا تشتغل بحضرتيه تعالى القديمتين المذكورتين اللتين هما حسن الحق تعالى وكماله الأزلي وانظر إلى ذاته تعالى وابحث عنها في نفسك بعد معرفتك مرتبته الصفاتية وتنزيهه المطلق وكماله الحقيقي، فإن نفسك من حيث أن جميع صفاتك منسوبة إليها وجميع أسمائك واقعة عليها وجميع أفعالك صادرة منها هي نفس الحق تعالى على التنزيه المطلق... ثم أمرك بالتحقق في نفسك والإقبال عليها فإنه لا ينفعك شيء إلا هي، وطالب معرفة الله تعالى من غيرها المعرفة التامة طامع في محال." (مخطوط في المكتبة الأزهرية، الورقة 44).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل: " الصدّيقية عبارة عن حقيقة مقام من عرف نفسه فقد عرف ربه، وهذه المعرفة لها ثلاث

حضرات: الحضرة الأولى: حضرة علم اليقين. والحضرة الثانية: حضرة عين اليقين. والحضرة الثالثة: حضرة حق اليقين.

"فعلامة الصدّيق في تجاوز هذه الحضرات أن يصير غيب الوجود مشهوداً له، فيرى بنور اليقين ما غاب عن بصر المخلوقات من أسرار الحق تعالى، فيطلع حينئذ إلى حقيقته، فيشهد فناءه تحت سلطان أنوار الجمال، فيكتسب بهذا الفناء بقاءً إلهياً.

"والمراد بقولي: يكتسب هو أن يظهر له البقاء الإلهي كما لم يزل منذ كان الوجود، لا أنه مستفاد في تلك الحضرة، فإذا بقي ببقاء الله تعالى تجلّت عليه الأسماء اسماً فاسماً، فعرف الذات حينئذ من حيث الأسماء، وهذا حدّ بلوغ علم اليقين، ومن هذا لا يكون إلاَّ عيناً، ثم يرتقي من ذلك إلى تجليات الصفات فيشهدها صفة بعد أخرى، فيكون مع الذات بما لها من الصفات، ثم يرتقي من ذلك إلى أن لا يحتاج إلى الأسماء والصفات في كينونته مع الذات، ثم يرتقي من ذلك إلى أن يعرف موقع الأسماء والصفات من الذات، فيعرف الذات بالذات، فتنصب بين يديه حضرة الأسماء، والصفات، فيشاهد حقائقها ويدرك إجمالها في التفصيل، وتفصيلها في الإجمال، فلا يزال يتقلب في خلع الربوبية إلى أن تنقله يد العناية إلى الاتصاف بالأسماء والصفات، فإذا بلغ الأجل المحتوم وتناول كأس الرحيق المختوم كان صاحب حق اليقين، فإذا فضّ الختام وانصبغ الكأس بلون المدام فهو صاحب حق اليقين، وهذا أوّل مقامات المقرّبين."

وكخلاصة لما ذكرناه نورد ما قاله الشيخ شمس الدين اللاهيجي في مفاتيح الإعجاز فيما يتعلق بمعرفة النفس: "العنقاء رمز للذات الواحدة المطلقة، وجبل القاف، وهو مقرّها، يرمز إلى الحقيقة الإنسانيّة التي هي

مظهر تامّ لتلك الحقيقة، والحقّ تعالى متجلٍّ وظاهر بها بكامل أسمائه وصفاته. وأمّا ما قيل من أنّ جبل قاف محيط بالعالم من كلّ جوانبه لعظمته، فإنّ هذا المعنى ظاهر في الحقيقة الإنسانيّة، لانّ تلك الحقيقة كما مرّ بيانها، تشتمل على جميع حقائق العالم، ولانّ الإنسان يمثّل أحديّة الجمع ظاهراً وباطناً، وهو منتخب كلّ العالم وخلاصته. وكلّ من وصل إلى معرفة الحقيقة الإنسانيّة، اعتماداً على قاعدة أنّ "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ"، تيسّرت له رؤية الحقّ تعإلى ومعرفته، حيث إنّ: "مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَي الحَقَّ" وعلي هذا، فإنّ من وصل إلى جبل قاف، فقد وصل إلى العنقاء".

5- مقام الكمال أو المقام المحمدي:

قال الشيخ أحمد العلاوي في "المنح القدوسية" مبيناً وصول السالك إلى الحضرة المحمدية: " ليكن في علمك أنّ العارف لو بلغ ما بلغ إذا لم يدخل هذه الحضرة المحمديّة، ويقوم بأدبها حتى تشرق عليه أنوارها، قد يخاف عليه لأنّ الوصول كان بها، فلا بدّ من الرجوع إليها، ولهذا يقال : ( حقيقة النهاية هي الرجوع للبداية )، وإن كان المريد حالة سيره يتجاوز الحضرة المحمديّة بالمشاهدة للحضرة الواحديّة، أو الأحديّة لكن كان له التجاوز بصاحبها عليه الصلاة والسلام إذ لولا نور المصطفى الذي تغمّده لما تقدّم أنملة ولو تقدّم لاحترق، ولهذا كان الرجوع إليها والتذلّل على أعتابها واجبا، فهي كمال الكمال، فمن لم يرسخ في هذه الحضرة فهو ناقص، ثمّ اعلم أنّ هذه الحضرة فيها يكشف للعارفين عن حقيقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أي حقيقته اللازمة لأفراد الوجود الذي قال فيها صاحب البردة رضي الله عنه، وغيره :

"كيف يدرك الدنيا حقيقة         قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم

"وما أحسن ما قيل في حقيقته:

"نورك الكلّ والورى أجزاء       يا نبيّا من جندك الأنبياء

"لأنّ حقيقة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم هي حقيقة كلّ فرد من أفراد الوجود حتى إذا كشفت براقع وجهها وظهر نور جمالها يتحقّق العارف حينئذ بالحقيقة المحمديّة ويقول كما قال : ( لو احتجب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين لا أعددت نفسي من المسلمين )، وقال غيره : ( لو غاب عنّي ساعة متّ في الحين )، وأقوال من كشف لهم عن حقيقة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أمثال هذا كثيرة، وقد لوحت في بعض من حقيقته في هذه الأبيات :

حيّر لي بالي أقطب لجمالي         عين الكمال هو المرام

سرّ الحياة نور الصفات         حصن النجاة دار السلام

سرّ الحقيقة معنى الطريقة         العروة الوثيقة بلا انفصام

كنز المعاني سرّ الأواني         روح الأكوان قلت نعم

أحمد محمد في الحسن واحد         جمــع الفوائــد نــور القدم

قدر عظيم سرّ عميم         برّ رحيم على الدوام

ثمّ معان دون اللسان         يخفي جناني غير الكلام

صلّ عليه واجمعني به         جمعا بديه بلا أوهام

" ثمّ اعلم أنّ من كشف له عن هذه الحقيقة ينبغي له من الأدب ما لا يحصى، وأدبها معلوم عند القوم، وقد يقع الفناء لبعض المريدين في هذه الحضرة حتى يصير يتكلّم على لسان صاحبها عليه الصلاة والسلام كما وقع

لأغلب العارفين، وذلك لمحوهم فيها، وكلّما زاد العارف رسوخا في هذه الحضرة إلاّ إزداد قربا من الله حتى يصير دعاؤه لا يرد بالإضافة لصاحبها، ولهذا ينبغي للعارف إذا تمكّن من هذا المقام لا يمل من دعاء الخير ما استطاع وهذه زيارة المصطفى عند العارفين على مقتضى هذا الطريق، فهي كشف عن حقيقته، ويعبّر القوم عن هذه الحالة ببقاء البقاء المتصف بها أكمل من غيره، لأنّه راسخ القدم جامع بين الصحو والاصطلام.

"وحاصل الأمر، ينبغي للعارف أن لا يخرج من الحضرات الثلاث، فيكون بصره في الحضرة المحمديّة، وبصيرته في الحضرة الواحديّة، وسرّه للحضرة الأحديّة، كما يكون ظاهره للشريعة وروحه للطريقة وسرّه للحقيقة.

"وحاصل الأمر، أن يكون جامعاً للحضرات لأنه إذا تحقّق بالحقيقة المحمديّة يكتفي عن الالتفات لغيرها لاجتماع العوالم فيها من حيث ظاهرها وباطنها، فمن عرف الحقيقة المحمديّة استغنى بنظره عما سواها : {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [النساء آية 80 ]، { مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان} [ الرحمن آية 19 ، 20 ]، وهما ضدّان لا يجتمعان أي الحدوث والقدم، ولفظ الرسول في قول محمد رسول الله واسطة بين الحدوث والقدم وهو البرزخ الحاجز بين مرج البحرين لمناسبة الوجهين، فمن حيث ظاهره نقطة من طين ومن حيث باطنه خليفة ربّ العالمين، فبقولنا محمد رسول الله حصلت المعنى وضابطها لفظ الرسول فلو حذفته اختلفت المعنى أي فيتلاقى الحادث وهو قولنا محمد مع القديم، وهو قولنا الله فيتلاشى الحادث ويبقى القديم، لكن لا يمكن القيام بآداب الحضرات إلاّ بقولنا محمد رسول الله، والوقوف مع كلّ اسم بمقتضاه، فمقتضى اسم

محمد من العارف أن يعبد الله ومقتضى اسم الرسول أن يحضره، ويخشاه ومقتضى اسم الله أن يشاهده ويراه".

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتاب الإنسان الكامل: "وأول القربة فهي عبارة عن تمكن الولي قريباً من تمكن الحق في صفاته و هذا مشاع كما يقال قارب فلانٌ العالم فلاناً يعني في العلم والمعرفة... فالقربة هي ظهور العبد في تنوعات الأسماء والصفات بقريبٍ من ظهور الحق فيها لأنه يستحيل أن يستوفي عبدٌ صفةً من الصفات، ولكنه إذا انصرف على سبيل التمكين فيها بحيث لا يستعصي عليه شيء مما يطلبه ... وغير ذلك فقد قارب الحق، أي صار في جوار الله تعالى، فهذا القرب هو الجوار. ألا ترى إلى أهل الجنة لما كانوا في نوع من جوار الله تعالى كيف انفعلت لهم الأكوان فما شاؤوه كان في الجنة؟ فهذا قرب. وأول حضرات هذا المقام الخلة، وهو أن يتخلل العبد بالحق تعالى فيظهر في جميع أجزاء جسده آثار التخلل بأن تنفعل الأشياء له بلفظة كن، و أن يبريء العلل والأمراض ويأتي بالمخترعات بيده، وأن يكون لرجله المشي في الهواء وأن يقدر على التصور بكل صورة بتمام هيكله، وهذا معنى قوله: "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها" فإذا كان الحق تعالى سمعه وبصره ورجله وباقي جسده كان ذلك العبد خليل الله تعالى، يعني تخللته أنوار الحق تعالى، فهو خليل الله له من مقام الخلة الإبراهيمية نصيب... فكل واحدة من هؤلاء، أعني سمعه وبصره ولسانه ورجله ويده تنفعل الأكوان لها لأنها الله تعالى، فيفعل بيده ويتكلم بيده ويبطش بيده وينظر بيده ويعلم بيده، وكذلك كل جارحة من جوارحه وقوة من

قواه يفعل بها جميع ذلك وذلك شاهد الخلة. ألا ترى إلى سيد هذا المقام وهو إبراهيم عليه السلام لما أراد شهود تحقيق ذلك كيف أخذ أربعة من الطير فجعل على كل جبل منهن جزءاً فلما دعاهن بلسانه أتينه سعيا؟ وذلك شاهد أنه على كل شيء قدير فقد قارب بهذه الآيات إلى حضرة الكبير المتعال. واعلم أن مقام القربة هي الوسيلة، وذلك أن الواصل إليها يصير وسيلة للقلوب إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية... وقلب الولي الواصل إلى مقام القربة وسيلة الأجسام إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية لظهور الآثار، فلا يمكن الولي أن يتحقق جسده بالأمور الإلهية إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل القربة، فيكون ذلك الولي وسيلته في البلوغ إلى درجة التحقق، وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد صلى الله عليه وسلم... وانتهاء مقام الخليل ابتداء مقام الحبيب، لأن الحبيب الذاتي عبارة عن التعشق الإتحادي فيظهر كل من المتعشقين على صورة الثاني، ويقوم كل منهما مقام الآخر. ألا ترى إلى الجسد والروح لما كان تعشقهما ذاتياً كيف تتألم الروح لتألم الجسد في الدنيا ويتألم الجسد لتألم الروح في الأخرى ثم يظهر كل منهما في صورة الآخر؟ وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[سورة الفتح، آية 10] أقام محمداً صلى الله عليه وسلم مقام نفسه، وكذلك قوله: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}[سورة النساء، آية 80] ثم صرح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري لما رآه في النوم فقال له: يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك" فقال له: "يا مبارك إن محبة الله هي محبتي" فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم هناك خليفة عن الله كان الله هنا خليفة عن محمد صلى الله عليه وسلم،

**والنائب هو الخليفة والخليفة هو النائب.. ومن هنا تفرد محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال، فختم الكمالات والمقامات الإلهية باطناً وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهراً. وآخر مقام المحبة أول مقام الختام، ومقام الختام عبارة عن التحقق بحقيقة ذي الجلال والإكرام إلا في نوادر مما لا يمكن المخلوق أن يصل إلى ذلك، فتكون تلك الأشياء له على سبيل الإجمال وهي في الأصل لله على سبيل التفصيل، فلأجل ذلك لا يزال الكامل يترقى في الأكملية لأن الله تعالى ليس له نهاية، فلا يزال الولي يترقى فيه على حسب ما يذهب به الله في ذاته. ومقام الختام فإنه منسحب على مقامات القربة كلها، لأنه عبارة عن ختم مقامات الأولياء. بمجرد بلغ الولي مقام القربة يجوز جميع المقامات التي يصل إليها المخلوق في الله تعالى فيختم بوصوله إليها جميع مقامات الخلق... ومقام الختام هو اسم لنهاية مقام القربة ولا سبيل إلى نهايتها لأن الله تعالى لا نهاية له، فمن حصل في مقام القربة فهو ختم الأولياء ووارث النبي في مقام الختام، لأن مقام القربة هو المقام المحمود والوسيلة لذهاب المقرب فيها إلى حيث لا يتقدمه فيها أحد، فيكون هو فرداً في تلك المقامات الإلهية".** (الإنسان الكامل، الجزء الثاني، ص 145-148).

**وقال الشيخ عبد الرزاق القاشاني في كتابه "لطائف الأعلام" معرفاً التوبة الخاصة المحمدية: "ومعناه: الانتهاء في السير إلى حضرة الوحدة التي تسمى بحقيقة الحقائق وبالحقيقة المحمدية، وهي الحقيقة البرزخية السوائية بين الأحدية والواحدية، ولهذا يعبر عنها بالتوبة الخاصة بمحمد** (ص)**، وتسمى بالتوبة المحمدية، فمن انتهى إليها في رجوعه عن أحكام الأسماء، بحيث لم يتقيد بمقتضى اسم عن مقتضى اسم آخر، فقد تاب التوبة المعبر**

عنها بتوبة الانتهاء، لتحققه بنهاية الانتهاء إلى حضرة أحدية الجمع التي هي حاق البرزخية الكبرى".

وقال الشيخ مصطفى أبو ريشة البقاعي في شرحه على الوظيفة الشاذلية عند شرحه لقول سيدي عبد السلام بن مشيش: (إلى فضاء التفريد): "وهو المتسع الذي يشوبه شائبة تقييد أو تحديد. وهو المرتبة التي لن تتقيد بقيد أصلاً، المجردة عن اعتبار النسب والإضافات. فهي وإن ظهرت فيها لا ترى إلا فضاءً محضاً، وهي مرتبة الفرد المحمدي وهو الذي وضع قدمه في موضع قدم محمد صلى الله عليه وسلم، وسار على أثره وتحقق بجميع ما تحقق به من النعوت والكمالات حسبما أفاضته عليه الحضرة المحمدية في عصر ذلك الفرد محمد زمانه وواحد عصره وأوانه، باطنه بالقرآن محمد وظاهره بالفرقان غير مقيد والسائرون في هذا الطريق متفاوتون، فمنهم من يكون سيره في الذات بالذات وهم الأفراد المحمديون وعلى كل فمنهم الكامل والأكمل حسبما أفاضته عليه الحضرة من تجليها الذاتي أو الأسمائي أو الصفاتي". (الصفحة 169).

وقال الشيخ مصطفى البكري في شرحه على الصلاة المشيشية حين شرح قوله (وروحه سر حقيقتي): "أي وأشهدني أن روحه الشريفة سر حقيقتي لأن بها قيامها وانتظامها فإنه حقيقة الحقائق وعنه تلونت سائرالخلائق لقوله: 'أنا من الله والمؤمنون مني، ولأجله خلقت الأفلاك وانفتق رتق الأملاك، قال العارف الرباني أبو عبد الله محمد الدمرداش قدس الله سره في كتاب معرفة حقيقة الحقائق بعد كلام نفيس محكم التأسيس: 'وفي التحقيق الأوضح أن حقيقة الحقائق هي رتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهي المسماة بحضرة الجمع وبأحدية الجمع وبمقام الجمع وبها تتم

الدائرة، وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات، وهي الحقيقة المحمدية بالأصالة عليه الصلاة والسلام... ولما كانت الحقائق إنما هي ظهورات وتعينات حصلت على حقيقة الحقائق المسماة بالتعين الأول كان هذا المظهر الأكمل الأطهر، أعني محمداً صلى الله عليه وسلم، مظهرها في ظاهريتها من كتم قدسها فظهرت هذه الحقيقة الجامعة المحمدية على ما هي عليه من غير تبديل ولا تغيير في ذاتها بل مجرد تعين حصل للحقيقة المحمدية عند ظهورها بهذاالمظهر الأكمل الأطهر، وأنشدوا:

حقيقة ظهرت في الكون قدرتها فـأظهرت هـذه الأكـوان والحجبا

تنكرت بعيون العالمين كما تعرفت لقلوب تعرف الأدبا

فالخلق كلهم أستار طلعتها والأمر أجمعهم كانوا لها حجبا

ما في التستر بالأكوان من عجب بل كونها عينهم فيما يرى عجبا

"فإن ترقى أحد من الأنبياء والرسل والأولياء والصالحين إلى تلك المرتبة، أعني أحدية الجمع، فهو بالتبعية له عليه كل الصلاة والسلام... فصار الإنسان الكامل مظهراً للحقيقة الجامعة المسماة بحقيقة الحقائق من حيث جمعيتها للمبدأ والمعاد وهي الحقيقة المحمدي".... وصاحب المقام المحمدي آيته: {يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا}[سورة الأحزاب، آية 13] قال سيدي محيي الدين قدس الله سره في معنى هذه الآية: "أي لأنه لا غاية لكم تقفون عندها في طريق المعرفة بالله وعلوم أن رجوعهم سفر لاقتناصهم علوماً لم ينالوها في عروجهم، فسفر المحمدي ورجوعه من الحق

إلى الحق، من حضرته إلى حضرته فافهم. انتهى ولسان حال الوارث المحمدي ينشد:

مشارب القوم شتى        من كلها صار شرب

"فلا يتقيد بشرب دون آخر ولا بحال ولا مقام لجمعه بين الجميع، ولا يزال في ارتقاء من مقام إلى آخر وكلما خلعت عليع خلعة كمال وقف عندها حتى يظهر عليه النور المحمدي ويرفعه عن المقام الأول إلى الثاني وهكذا في كل حال ومقام فلا وقوف".

وقال الشيخ صدر الدين القونوي في كتاب مفتاح الغيب مبيناً مقام الإنسان الكامل أو الولي الوارث المحمدي: "وهنا دقيقة تختص بالكمل، وهي أن الكمل لا يستقر منهم في الجنان إلا ما يناسبها منهم إذ الجنة لا تسع إنساناً كاملاً ولا غير الجنة من العوالم أيضاً، (ف)المقيم من الكامل في الجنان ما يناسب المراتب الجنانية إذ الكامل من سنخ الحضرة، ولا عجب أن يكون العبد على خلق مولاه، والمولى غير متحيز ولا متقيد بمكان دون غيره، وكيف وهو مع كل شيء ومحيط بكل شيء وقد وسع كل شيء رحمة، ورحمته ووجوده وعلمه وحيطته لا يتعدد في حضرة أحديته فافهم. فللكامل حقائق لا تناسب الجنة وله من الحقائق ما لا يناسب النار أيضاً ولا موطن بعينه مع ارتباطه ومناسبته الذاتية المرتبية لكل شيء في نفس اعتلائه ونزاهته وإطلاقه عن كل صورة ونشأة وموطن ومقام وحضرة".

ويلخص ما قلناه في وصول الولي إلى المقام المحمدي ما ذكره الشيخ محمد وفا في نفائس العرفان بلسان الإشارة بقوله: " المراقبة تفيد صورة روحانية نورانية لرقي البشرية من عالم الفرق إلى عالم حضرة الجمع، فإذا حضرت هذا الحضور وتلاشت في هذا النور خلع عليها خلعة ربانية رحمانية

فردانية ذاتية، وهي صلاة الله على عبده المخصوص، فإذا أنذر بجمالها وتقلد بجلالها وتوجه بتاج كمالها وبرز في ملكوت القدس الأقدس كرامة لهذا النور الأنفس أعلن لسان الذكر الحكيم بالكلام القديم: {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} [سورة الحجر، اية 29]، فإذا كان يوم انكشاف الساق وظهور يوم التلاق واندرجت الصلاة في الصلاة واضمحلت الصفات في الصفات وتجلت حقائق أم القرآن تلى لسان الأحدية: {ولله يسجد من في السموات والأرض} [سورة الرعد، الآية 15]".

وقول الشيخ علي وفا في وارداته: "الوجود حقيقة بلا قيد هو الذات والمجرد منه ما لا يقيده حكم تعينه بوصف عن ظهوره بأوصاف كماله وكمال صفاته... وهذا التجرد بعد حصول (التعين) فيه لا يصح إلا للخاتم الأعظم (أو الولي الوارث المحمدي الكامل) من حيث ما يظهر به في المراتب وأما من حيث هو فهو الوجود المطلق الذي لا يحققه كشفاً وعيانا إلا هو، واعلم أنه لا ينتهي تحقيق محقق إلا إلى أن يكون غاية ما يظهر به وجوده ( الحق ) من الكمال الحقيقي له ليس إلا".

ج- الكمالات التي يحصلها السالك في هذا سيره إلى الله وفي الله:

# 10- الخلاصة

وكخلاصة لما ذكر، قال الشيخ محمد وفا في كتابه نفائس العرفان: "اعلم أن القطبية على قسمين: قطبيةٌ في العلوم اللدنية وقطبيةٌ في العلوم الدينية، والفرق بينهما أن الأولى علوم تعريفية والأخرى تكليفية وكل واحد ينقسم إلى ثلاثة مراتب: الولاية ثم النبوة ثم الرسالة، وفي اللدنية بالعكس لأن الولي في الديانات من تولى الله بامتثال أوامره ونواهيه وفي اللدنية الولي من تولاه الله إما بالذات "فإذا أحببته كنت هو" أو بالصفات "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به" أو بالأفعال: "إفعل ما شئت مغفورٌ لك" والجمع بينهم كمالٌ لا يدرك".

وقال أيضاً: "الولاية لها ظاهرٌ وباطن، ظاهرها توفيق العبد لأن يتولى الله بامتثال أوامره ونواهيه واتباع مرضاته... فأما الولاية الباطنة فهو بما تولى الله به عبده بذاته وأطلعه عليه من مكنون أسمائه وصفاته وأحضره في حظائر قدس تجلياته فأخذه منه وأفناه عنه وأبقاه به فهو لا هو ولا هو إلا هو وهذه الولاية التي ترقى إليها محمدٌ صلى الله عليه وسلم لما فارقه جبريل عند سدرة المنتهى وكان بها في مقام قاب قوسين أو أدنى، وكانت النبوة من هذا الوجه دون مقام ولايته والرسالة دون مقام نبوته". (نفائس العرفان).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل: "وللإنسان الكامل ثلاث برازخ وبعدها المقام المسمى بالختام: البرزخ الأول: يسمى البداية وهو التحقق بالأسماء و الصفات، البرزخ الثاني يسمى التوسط وهو فلك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر المكتمات واطلع على ما شاء من المغيبات، البرزخ الثالث هو معرفة

التنوعات الحكمية في اختراع الأمور القدرية، لا يزال الإنسان تخرق له العادات بها في ملكوت القدرة حتى يصير له خرق العوائد عادة في فلك الحكمة فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان. فإذا تمكن من هذا البرزخ حل في المقام المسمى بالختام والموصوف بالجلال والإكرام. و ليس بعد ذلك إلا الكبرياء وهي النهاية التي لا تدرك لها غاية، والناس في هذا المقام مختلفون فكامل وأكمل وفاضل وأفضل". (الجزء الثاني، ص 77-78).

وقال الشيخ مؤيد الدين الجندي في شرح فصوص الحكم: "إن الصورة الإنسانية الكمالية الذاتية الإلهية هي صورة الذات المسماة باسم الله، وتلك الصورة هي التي تستغرق جميع الصور المعنوية الغيبية الأسمائية والعينية الكونية المتأثرة المظهرية و النسب الإضافية العدمية، فإن العالم بكماله وتمامه صورة تفصيل هذه الصورة الإنسانية الكمالية الجمعية الذاتية". (ص 357).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً: "اعلم أنه (أي الإنسان الكامل) نسخة الحق، كما أخبر صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورة الرحمن" وفي رواية: "خلق الله آدم على صورته" وذلك أن الله تعالى حي عليم قادر مريد سميع بصير متكلم، وكذلك الإنسان حي عليم إلخ، ثم يقابل الهوية بالهوية والأنية بالأنية والذات بالذات والكل بالكل والشمول بالشمول وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية... ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في

الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل". (الإنسان الكامل، الجزء الثاني، ص76-77).

و جاء في موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية: وقال بعض الصوفية: «الإنسان (أو الولي الكامل) هو هذا الكون الجامع».

وقال الشيخ الأكبر في كتاب الفصوص: «إن الإنسان الكامل (أو الولي الكامل) الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القِدم وأحكامه وبين صفات الحدوث، وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد إلى العالم علواً وسفلاً... كذا في شرح الفصوص للمولوي عبد الرحمن الجامي في الفص الأول...

وعند الجرجاني: هو . أي الإنسان الكامل . الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية، الكليّة والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، من حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمّى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلاَّ المطهرون من الحجب الظلمانية». انتهى.

وصاحب هذا المقام هو الإنسان الكامل، ويسمى أيضاً عند الصوفية بالمحقق الذي لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه، أي لا تحجبه رؤية تجلي الأحدية التي هي مظهر تجلي الذات الصرف عن رؤية الواحدية التي هي مظهر تجلي الكثرة الأسمائية والصفاتية. فهو في الظاهر يشهد

الكثرة ليُقيم الشريعة، وفي الباطن يشهد الوحدة ليقيم الحقيقة. وصاحب هذا المقام يسمى أيضاً بصاحب مرتبة جمع الجمع.

وقال الشيخ الأكبر في الفصوص عند شرحه للكلمة الآدمية: «فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ولذلك قال فيه: «كنت سمعه وبصره» ما قال: كنت عينه وأذنه، ففرّق بين الصورتين».

وقال الشيخ قيصري في مقدمته على فصوص الحكم: «ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جمع جميع المراتب الإلهية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود، ويسمى بالمرتبة العمائية».

وقال الشيخ السرهندي في كتابه «المكتوبات الشريفة»: «اعلم أن الإنسان نسخة جامعة وكل ما هو موجود في جميع الكائنات متفرقاً موجود في الإنسان وحده، ولكن من عالم الإمكان بطريق الحقيقة ومن مرتبة الوجوب بطريق الصورة «إن الله خلق آدم على صورته».

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الإمام السرهندي في تعريفه هذا قال: «الإنسان» ولم يقل: الإنسان الكامل، وذلك لأن الحقائق الإمكانية والوجودية، أو نقول: الحقائق الخلقية والحقية موجودة في كل فرد من أفراد الإنسان بالقوة وإذا تحقق الإنسان بهذه الحقائق صارت موجودة فيه بالفعل.

فكل فرد من أفراد الإنسان نسخة جامعة وخليفة الله في أرضه من غير تعيين فرد بعينه. والمتحقق منهم بهذه الحقائق يتعين أنه خليفة الله في أرضه ويكون ولياً كاملاً. فكل إنسان مؤهل لبلوغ مرتبة الولاية الكاملة التي يطلق الجيلي على المتحقق بها عبارة «نسخة الحق» أو الإنسان الكامل.

**وفي كيفية وصول الإنسان إلى هذه الولاية الكاملة وكتوضيحٍ لما تقدم نقول: قال الشيخ العارف بالله تعالى محمد الهاشمي التلمساني في شرحه على شطرنج العارفين للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي: "فالعبد سائرٌ في كل لحظةٍ ونفسٍ ويمر في طريقه على منازل ومقامات علمها الله بعلمه وتخصيصه بارادته وسيَّره عليها بقدرته أحب أم كره. فالسير فيها والمرور عليها قهري اجباري. قال تعالى: {وهو القاهر فوق عباده}**[سورة الأنعام آية 61] **وقال تعالى: {وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم}**[سورة هود آية 56].

**"وهذه المقامات منهم من أجملها فجعلها ثلاثة وسماها مقامات بحسب ترقي السالك في طريق العارفين وهي الملك والملكوت والجبروت، ويقابلها بأركان الدين الثلاثة التي هي الإسلام والإيمان والإحسان. فيترقى السالك من الملك إلى الملكوت ثم إلى الجبروت والمحل واحد وهو الوجود الأصلي والفرعي، فما لم يدخل عالم التكوين من عظمة الباري تعالى فهو عالم الجبروت وما دخل التكوين فمن ألحقه بأصله وجمعه فهو في حقه ملكوت، ومن فرقه وحُجبَ به فهو في حقه ملك.**

**"فتحصَّلَ أن المحلَّ واحد والأمر إنما هو اعتباري تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقي في المعرفة، فمن وقف مع الكون كان في حقه ملكاً، ومن نفذ إلى شهود النور الفائض من الجبروت إلا أنه رآه كثيفاً نورانياً ولم يضمه إلى اصله في اللطافة سمي في حقه ملكوتا، ومن ضمه إلى اصله ولم يفرق بين النور والكثيف سمي جبروتاً انتهى من ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة"...**

"ومنهم من يعبر عنها بالناسوت واللاهوت والرحموت. فالناسوت عبارة عن حس الأواني ومرجعه إلى الملك، واللاهوت عبارة عن أسرار المعاني ومرجعه إلى الملكوت، والرحموت عبارة عن سريان اللطف والرحمة في جميع الأشياء جلالها وجمالها، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره.

"ومنهم من جعلها أربعة وسماها عوالم فقال العوالم أربعة: عالم الشهادة وعالم الغيب وعالم الملكوت وعالم الجبروت.

"ومنهم من جعلها سبعة وسماها مراتب فقال: مراتب الوجود سبعة وهي على قسمين : مراتب قديمة ومراتب حادثة. فالمراتب القديمة ثلاثة: مرتبة الأحدية ومرتبة الوحدة ومرتبة الواحدية، والمراتب الحادثة ثلاثة : مرتبة الأرواح المجردة البسيطة ومرتبة الأجسام اللطيفة وهي عالم المثال ومرتبة عالم الأجسام. والمرتبة السابعة وهي المرتبة الجامعة لجميع المراتب المذكورة الجسمانية والنورانية والواحدية والأحدية وهو التجلي الأخير وهي الإنسان المطلق المستعد للنقص والكمال وبه تمت المراتب وكمل العالم وظهر الحق سبحانه بظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته فهو أنزل الموجودات مرتبة في الوجود وأعلاها مرتبة في الكمالات.

"وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

"وأن للعالم ثلاثة مواطن باعتبار هذا الوجود الحق سبحانه، أحدها التعين الأول ويسمى فيه شئوناً وثانيها ( التعين الثاني ) ويسمى فيه أعياناً ثابتة أي ليست منفية، وثالثهما التعين في الخارج وهو تعين العالم في نفسه وذلك خارج عن تعينه في الوجود الحق تعالى، فإن تعينه في الوجود الحق تعين اعتبار وفرض وتقدير بلا وجود له في نفسه، وتعينه في الخارج هو تعينه

في نفسه فيظهر الوجود الحق به بسبب ظهور تعينه في الوجود الحق بنفسه، وهذا الموطن للعالم يسمى حدوثاً لظهور تعينه في نفسه فيه مرتباً بعضه على بعض بتخصيص المشيئة والإرادة، فإن العالم جميعه في حضرة الوجود الحق سبحانه أزلاً وأبداً متعين أولاً وإجمالاً في مقام ذات الوجود الحق سبحانه، متعينٌ ثانياً تفصيلاً ويقال له الأعيان الثابتة وهذان التعينان للعالم في الوجود الحق لا في نفس العالم. فالعالم في الوجود الحق لا وجود له بل له العدم لأن الوجود ضد العدم كما أن الثبوت ضد النفي وللعالم الثبوت بلا وجود، فالعالم في الوجود الحق هو الأعيان الثابتة وهو قديم في قديم بهذا الاعتبار، ثم إن العالم الثابت في الوجود الحق بلا وجود له ترتيب في نفسه بمقتضى تخصيص المشيئة والإرادة وتقديم وتأخير في بعضه للبعض، فإذا ظهر وتبين متعيناً في نفسه بالوجود الحق يسمى ذلك حدوثاً لأنه ظهور ما لم يكن ظاهراً ويسمى العالم فيه أعياناً خارجية لظهور تعينها في نفسها في ظهور الوجود الحق متميزاً عنها. وإن أردت زيادة البسط والإيضاح فعليك بكشف الحجب المسبلة شرح التحفة المرسلة للسويدي وبالقول المتين في بيان توحيد العارفين المسمى نخبة المسألة للعارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي على التحفة المرسلة للشيخ فضل الله الهندي رحمهم الله ورضي عنهم.

"ومنهم من جعلها سبعة وسماها مواطن فقال: المواطن سبعة: موطن يوم ألست بربكم قالوا بلى، وموطن الأرحام، وموطن الدنيا، وموطن البرزخ، وموطن الحشر، وموطن الجنة أو النار، وموطن الكثيب...

"ومنهم من جعلها أربعين وسماها مراتب الوجود أيضاً. وهو العارف بالله سيدي عبد الكريم الجيلي المتوفي سنة 899 هجرية قدس الله روحه في

**رسالة الكهف والرقيم في شرح وفوائد بسم الله الرحمن الرحيم، وهي: 1- الذات الساذج 2- العماء 3- الأحدية 4- الواحدية 5- الألوهة 6- الرحمانية 7- الربوبية 8- العرش 9- القلم الأعلى 10- اللوح المحفوظ 11- الكرسي 12- الهيولى 13- الهباء 14- فلك العناصر 15- الفلك الأطلس 16- فلك البروج 17- فلك زحل 18- فلك المشتري 19- فلك المريخ 20- فلك الشمس 21- فلك الزهرة 22- فلك عطارد 23- فلك القمر 24- فلك الأثير 25- فلك الهواء 26- فلك الماء 27- فلك التراب 28- فلك المولدات 29- فلك الجوهر البسيط 30- فلك العرض اللازم 31- المركبات 32- النباتات 33- الجمادات 34- الحيوانات 35- الإنسان 36- عالم الصور 37- عالم المعاني 38- عالم الحقائق 39- الجنة والنار 40- الكثيب الأبيض.**

**"ومنهم من جعلها مائة وسماها منازل السائرين الى الله تعالى ، يعني بمقتضى الحكم الشرعي المتعلق بأحكام المكلفين في وسعهم وطاقتهم ، قال تعالى: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت}** [سورة البقرة آية 286]. **وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي المتوفي سنة 481 هجرية في ذلك رسالة ذكر فيها مائة منزلة وسماها "منازل السائرين إلى الحق تعالى" وقسمها على النحو التالي:**

**"الأول قسم البدايات: اليقظة، التوبة، المحاسبة، الإنابة، التفكر، التذكر، الاعتصام، الفرار، الرياضة، السماع.**

**"الثاني قسم الأبواب: الحزن، الخوف، الإشفاق، الخشوع، الإخبات، الزهد، الورع، التبتل، الرجاء، الرغبة.**

"الثالث قسم المعاملات: الرعاية، المراقبة، الحرمة، الإخلاص، التهذيب، الإستقامة، التوكل، التفويض، الشفقة، التسليم.

"الرابع قسم الأخلاق: الصبر، الرضا، الشكر، الحياء، الصدق، الإيثار، الخلق، التواضع، الفتوة، الانبساط.

"الخامس قسم الأصول: القصد، العزم، الإرادة، الأدب، اليقين، الأنس، الذكر، الفقر، الغنى، المراد.

"السادس قسم الأودية: الإحسان، العلم، الحكمة، البصيرة، الفراسة، التعظيم، الإلهام، السكينة، الطمأنينة، الهمة.

"السابع قسم الأحوال: المحبة، الغيرة، الشوق، القلق، العطش، الوجد، الدهش، الهيمان، البرق، الذوق.

"الثامن قسم الولايات: اللحظ، الوقت، الصفاء، السرور، السر، النفس، الغربة، الغرق، الغيبة، التمكن.

"التاسع قسم الحقائق: المكاشفة، المشاهدة، المعاينة، الحياة، القبض، البسط، السكر، الصحو، الاتصال، الانفصال.

"العاشر قسم النهايات: المعرفة، الفناء، البقاء، التحقيق، التلبيس، الوجود، التجريد، التفريد، الجمع، التوحيد...

"ومنهم من أبلغها الى ألف مقام، قال أبو بكر الكتاني: إن بين الحق والعبد ألف مقام من نور ظلمة. ومنهم من أبلغها إلى سبعين ألف مقام وسماها حجباً، ومنهم من أوصلها إلى مئة ألف مقام. قال الإمام الشعراني رضي الله عنه في المنن الكبرى: وأمهاتها مئة ألف مقام وخاصتها ألف مقام."

وفي ختام بحثنا هذا نقول إن الولاية الإلهية في الدين الإسلامي الكامل الجامع لما تقدمه من شرائع سماوية ناسوتية مادية ولاهوتية معنوية هي عامة في كل انسان لكونه تعالى خلقه في أحسن تقويم بيدي الجلال والجمال على صورته الكمالية الرحمانية واختصه من بين مخلوقاته بسائر شئونه الحقية وكلماته الخلقية، وكان الدين الإسلامي بأركانه الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة، العبادة والعبودية والعبودة، المقابلة لعوالم الملك والملكوت والجبروت الوجودية الإطلاقية والمقابلة لعوالم النفس والقلب والروح البشرية التقييدية هو وسيلة الإنسان لتحقيق هذه الكمالات المودعة فيه، فإذا تم له ذلك كان ولي الله المخصوص بقربه وكمال محبته وبوراثة حقائق أنبيائه ورسله مراداً بقوله: {إني جاعل في الأرض خليفة}، نسأل الله أن يجعلنا من خصوص أوليائه وأن يحققنا بما أودع فينا من كمالاته وليس ذلك على الله بعزيز، والحمد لله رب العالمين.

# الفهرس

1- المقدمة 2

2- تعريف الولاية والولي 6

3- ثبوت الولاية بالكتاب والسنة 24

4- إثبات كرامات الأولياء 30

5- الفرق بين المعجزة والولاية والاستدراج 35

6-في طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم 37

7- أنواع الكرامات وخوارق العادات وأجلُّها 50

8- الفرق بين النبوة والولاية 54

9- مراحل الولاية المحمدية الخاصة بالولي الكامل المسمى بالإنسان الكامل والوارث المحمدي وبالقطب الفرد الجامع وبغيره من الأسماء 73

10- الخلاصة 107